روايات مصرية للجيب

رجل المستحيل

تحت علم مصر

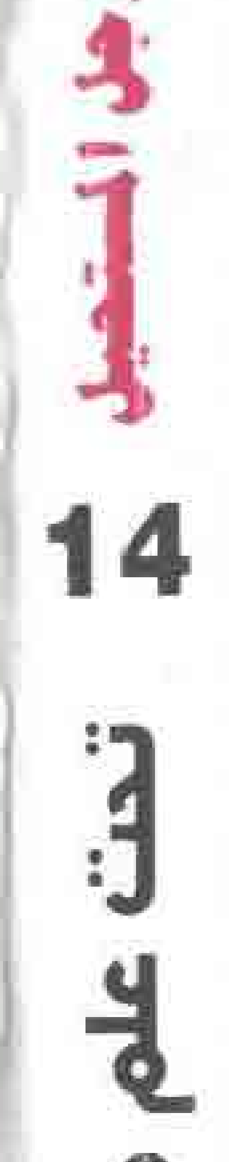
14

سلسلة الأعداد الخاصة

باسل

Www.dvd4arab.com

د. نبيل فاروق





تحت علم مصر

سلسلة الأعداد الخاصة



تحت علم مصر

د. نبيل فاروق

• كأى ضابط يلتحق بجهاز المخابرات لأوّل مرة ، من الناحية الرسمية ، كان على (أدهم صبرى) أن يخوض تجربة عملية ، فى مهمة من مهام المخابرات الرئيسية ، التى تعتمد على العقل وحده ، دون القوة ..

• ولكن ، مع وجود (أدهم) لابد أن تنقلب الأمور كلها رأسًا على عقب ..

• وهذا ما حدث ..

• لقد تعرَّضت العملية لتطوّر مفاجئ ، كاد يفسد جهدًا طويلاً مرهقًا ، ويضيِّع عملية بالغة الخطورة ، طلبها رئيس الجمهورية شخصيًّا ..

• وهنا ، كان على (أدهم) أن يستنفر كل قدراته وطاقاته ، وأن يلقى بنفسه فى أتون اللهب ، باذلاً حياته نفسها ، إذا ما اقتضى الأمر ؛ ليستعيد الموقف ، ويكمل المهمة بنجاح ..

• كل هذا تحت علم واحد ..

• تحت علم (مصر)

الثمن فى مصر ٣٠٠ مـ
ومايعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

١ ـ العملية الأولى ..

لم يدر (قدرى) لماذا شعر بذلك التوتـر ، الـذى سـرى فى كيانه كله ، وهو يعبر بوّابـة مبنى المخابرات العامـة ، فى الصباح الباكر !

ربما لأنه قد قضى إجازة طويلـة ، بعيدًا عن المكان ، عندما انهارت مشـاعره ، مع إصابة (أدهم) العنيفـة فى (موسكو)(*) ، والتى لم يتجاوز مرحلة الخطر فيهـا حتـى الآن ..

أو ربما لأنه تصوَّر ذات لحظـة أنـه لن يعـود إلى هـذا المكان ثانية أبدًا ..

لولا ما فعلته معه (منى) ..

كانت تعانى مثله حزنًا وألمًا عميقين ، يسريان فـى كل ذرة من كيانها ، خاصـة أن الكل يعلم بتلك العاطفـة القويـة العميقة الدافئة ، التى تربطها بـ (أدهم) ، ومدى صدمتها وانهيارها ، عندما أصابه ما أصابه ، وسط جليد (روسيا) ، الذى لا يعرف الرحمة ..

(*) راجع سلسلة (رجل المستحيل) .. العدد ١٣٤ .. (الأبطال) ..

ولكن من الواضح أنها قد اكتسبت من أستاذها وحبيب عمرها صلابته وقوته وإرادته الفولاذية ، التى لا تلين أبدًا ..

فعلى الرغم من كل حزنها وعذابها ، جاءت لزيارته فى منزله ، حاملة ملفًّا خاصًّا ، لواحدة من أكثر عمليات (أدهم) خطورة وإثارة(*) ..

وبكل دفئها وعذوبتها ، راحت تعيد قراءتها معه ، وتسرد على مسامعه تفاصيلها السريعة المثيرة ..

كل هذا ؛ لتنتزعه من عزلته ، وتخرجه من قوقعة حزنه ، وتعيده إلى الحياة ..

الحياة التى لا تتوقَّف أبدًا ، مهما نال البشر منها ، من مصاعب ، وكوارث ، وأحزان ..

وموت أيضًا ..

القبور تمتلئ بأولئك الذين تصوَّروا ، أو تصوَّرنا ، أن الحياة لن تسير بدونهم ..

والحياة لا تتوقَّف ولو لحظة واحدة لترثيهم أو تذكر مآثرهم ..

(*) راجع سلسلة الأعداد الخاصة .. العدد رقم ١٢ .. (الحصار) ..

إنها تمضى ..

وتمضى ..

وتمضى ..

ثم إن (أدهم) لم يمت ..

ولا يمكن أن يموت ..

هذا لأنه ، وكما قالت (منى) ، ليس مجرَّد رجل ..

إنه أسطورة ..

أسطورة لا تنتهى ولا تموت ..

أبدًا ..

وطبقًا لآخر ما لديه من معلومات ، فالأمل لا يزال حيًّا قويًّا ..

الروس يستخدمون أسلوبًا جديدًا للعلاج ، تحت إشراف فريق طبى من أكبر خبرائهم ، وآخر من أفضل أطباء (مصر) ، وكل هذا بقيادة الدكتور (أحمد صبرى) ، شقيق (أدهم) ، وأحد أفضل وأشهر جراحى المخ والأعصاب العالميين ..

وهذا ما أقنعه بالخروج ..

والعودة ..

« (قدرى) ! يا لها من مفاجأة ! »

هتف النائب الأوَّل لمدير المخابرات بالعبارة ، عندما توقَّفت سيارة (قدرى) إلى جواره ، فى ساحة المبنى الرئيسية ، ثم أطلق ضحكة عالية ، مضيفًا :

ـ كنا واثقين من أن الفضول واللهفة سيهزمان حزنك .

انعقد حاجبا (قدرى) ، وهو يدفع جسده المكتظ خارج سيارته الصغيرة ، قائلاً فى حنق :

ـ إذن فكل هذا كان مجرَّد خطة .

ربَّت الرجل على كتفه فى حرارة ومودَّة ، قائلاً :

ـ أنت تعمل معنا منذ سنوات طوال يا رجل ، وتدرك جيِّدًا أنه ما من صغيرة أو كبيرة هنا ، تخضع للأهواء الشخصية وحدها .. لقد أدركنا واستوعبنا وقدَّرنا حزنك العميق ، الذى نشاركك فيه جميعًا ، لما أصاب (أدهم صبرى) ، وأدركنا أكثر أننا نحتاج إلى مهاراتك وموهبتك

الفذة ، التى لا تقل أهميتها بالنسبة للوطن ، عن أهمية رجل نادر مثل (أدهم) ، وكان من الضرورى أن نسعى لاستعادتكما بأى ثمن .

توقَّف (قدرى) دفعة واحدة ، وحدَّق فى وجهه ، وهو يلهث ، هاتفًا :

ـ استعادتنا ؟! .. هل تعنى أنكم ..

قاطعه الرجل بإيماءة من رأسه ، وبابتسامة هادئة ، وهو يقول :

ـ الأمر يختلف من واحد إلى آخر يا (قدرى) .. إننا لا نستطيع ـ وفقًا لما أكَّده كل الخبراء والأطباء ـ نقل (أدهم) من (موسكو) إلى هنا ، لذا فقد عملنا على استعادته بأسلوب آخر ، وأنت تعلم بنفسك أننا قد أرسلنا فريقًا من أفضل أطبائنا إلى هناك ، مع فريق خاص لحمايته ، والاطمئنان إلى أن أحدًا لن يمسه بسوء ، وفى الوقت ذاته أجرى السيِّد رئيس الجمهورية اتصالاً شخصيًّا بالرئيس الروسى ، وأخبره أن السيِّد (أدهم) شخص مهم للغاية فى (مصر) ، وأن أمره يهم مؤسسة الرياسة شخصيًّا ، وهذا دفع الرئيس الروسى إلى إحاطة (أدهم)

برعاية خاصة للغاية ، وتكليف أكبر أطباء (موسكو) أمر علاجه والعناية به ، بل ودفعهم إلى الإفراج عن أسلوب علاجى جديد ، لم يتم استخدامه إلا مع رواد الفضاء الروس ، كوسيلة لتقديم الأفضل ..

والتقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يضيف بابتسامة أكبر :

ـ ألا يعنى كل هذا أننا نسعى لاستعادته ؟!

انتقلت ابتسامته إلى (قدرى) ، وهو يجيب :

ـ بالتأكيد .

ثم استعاد حدته ولهاثه ، مضيفًا :

ـ ولكن بالنسبة لى ، كان ينبغى أن ..

قاطعه النائب الأوّل لمدير المخابرات ، وهو يقول مبتسمًا :

ـ لا تنكر أن أسلوبنا كان ناجحًا تمامًا .. ألست هنا الآن ؟!

صمت (قدرى) بضع لحظات ، قبل أن يجيب فى خفوت :

ـ بلى .

ربَّت الرجل على كتفه مرة أخرى ، قائلاً :

ـ الوطن دومًا بحاجة إليك يا (قدرى) .

هتف (قدرى) بحرارة حقيقية :

ـ وأنا فداء الوطن يا سيِّدى .

ثم انخفض صوته ، وهو يضيف :

ـ ولقد أعددت عددًا من الكوادر الجديدة ، ودربتهم بنفسى على كل ما أقوم به من أعمال .

قال الرجل فى حماسة :

ـ وهم يقومون بواجبهم خير قيام .

ثم مال نحو ، مضيفًا بابتسامة ودود :

ـ ولكنهم لن يفوقوا الأستاذ .

هتف (قدرى) فى انبهار :

ـ (أدهم) ؟!

ضحك الرجل ، وعاد يربت عليه ، قائلاً :

ـ بل أستاذهم هم يا صديقى .

والتقط نفسًا عميقًا ، ليضيف ، وهو يتطلَّع إليه مباشرة :

ـ أنت يا رجل .

انتفض جسد (قدرى) كله ، وهو يهتف :

ـ أنا ؟!

ومن أعمق أعماقه ، تصاعد شعور قوى بالانتماء والامتنان والفخر ، جعله يردِّد ، والدموع تترقرق فى عينيه :

ـ أنا أستاذ .

قال نائب مدير المخابرات ، وهو يقوده إلى مكتبه :

ـ وأستاذ الأساتذة أيضًا ، فى مجالك العبقرى يا (قدرى) .

كادت الدموع تتفجَّر من عينى (قدرى) ، وهو يجلس على الأريكة المجاورة لمكتب النائب الأوَّل لمدير المخابرات ، مغمغمًا :

ـ سيِّدى .. لست أدرى كيف ..

قاطعه النائب ، وهو يقول بابتسامة هادئة :

ـ دعنا من حديث العواطف هذا الآن ، فما زلنا ندين لك بما وعدنا به .

تساءل (قدرى) فى حيرة :

ـ ما وعدتم به ؟!

ضغط النائب زرًّا على مكتبه ، وهو يقول :

ـ نعم .. ملف العملية .. أوَّل عملية قام بها (أدهم صبرى) كضابط مخابرات قح ، وليس كضابط صاعقة سابق ، يميل إلى حسم قضاياه بقوته ومهاراته الجسدية .

تهلَّلت أسارير (قدرى) ، وهو يهتف :

ـ صدِّقنى يا سيِّدى .. أنا فى غاية الشوق واللهفة ، لمطالعة هذا الملف .

اقترن قوله بدقات على باب مكتب النائب ، الذى قال فى حزم :

ـ ادخل يا (طلعت) .

دلف سكرتيره إلى المكتب ، وناوله حقيبة مغلقة ، قائلاً :

ـ تفضَّل يا سيِّدى .. قسم المعلومات سلَّمنى هذه الحقيبة منذ دقائق ، كما أمرت أمس .

التقط النائب الحقيبة ، و (قدرى) يقول فى دهشة :

ـ هل كنت تعلم أننى سآتى اليوم ؟!

ابتسم الرجل ، وهو يعالج رتاج الحقيبة ، ذا الأرقام السرية ، مجيبًا :

ـ هل نسيت أن لدينا أفضل الخبراء النفسيين يا سيِّد (قدرى) ؟!

وفتح الحقيبة ، والتقط منها الملف ، وهو يقول فى حماس :

ـ ها هو ذا .

كاد (قدرى) يقفز ملتقطًا الملف ، ولكنه قاوم رغبته هذه فى صعوبة ، وهو يسأل بكل لهفة الدنيا :

ـ عن أى شىء كانت العملية ؟

ابتسم النائب ، وهو يفتح الملف ، قائلاً :

ـ صبرًا يا رجل .. ستعرف كل شىء بعد قليل .

ثم التقط نفسًا عميقًا ، وأشار بيده ، متابعًا :

ـ ينبغى أن تعلم فى البداية أن ما فعلناه مع (أدهم) ، فى تلك المرحلة ، هو ما كنا نفعله مع أى ضابط جديد ، ينضمّ إلى الجهاز ، ويتلقَّى تدريباته حتى نهايتها ، كوسيلة لدفعه إلى أعماق عالم المخابرات الحقيقى ، بكل غموضه ، ودقته ، وأساليبه البارعة المتقنة .. وكما يحدث فى المعتاد ، أسندنا إلى (أدهم) مهمة متابعة عملية بسيطة ، تتفق معطياتها مع ما دربناه عليه .

وتراجع فى مقعده ، والتقط نفسًا عميقًا آخر ، قبل أن يضيف :

ـ ولكن الأمور لم تسر كما قدرنا لها ، وتطوَّرت بغتة ، بسبب عاملٍ مفاجئ ، لم يكن فى الحسبان ، ولم يكن من الممكن توقُّعه أيضًا ، مما انحرف بالعملية كلها خارج نطاق الخطة الموضوعة ..

مال بمقعده إلى الأمام فى حماس ، وأشار بيده ، مكملاً :

ـ وهنا كان على (أدهم) الشاب أن يضيف عاملاً جديدًا إلى كل ما تدرَّب عليه .. موهبته الشخصية .. وأن يعيد إدارة العملية كلها ، وفقًا لمهاراته وبراعته ..

ثم تنهَّد ، وابتسم ابتسامة كبيرة ، قبل أن يقول فى حزم :

ـ وهذا ما فعله .

هتف (قدرى) ، وجسده كله يرتجف لهفة وانفعالاً :

ـ سيِّدى .. لست أطيق الانتظار ، لسماع تفاصيل هذه العملية .

اتسعت ابتسامة نائب مدير المخابرات ، وهو يقول :

ـ هل تعلم أنك قد شاركت فيها ، دون أن تدرى ؟!

كاد (قدرى) يقفز من مكانه ، صائحًا :

ـ أنا ؟!

أومأ الرجل برأسه إيجابًا ، وهو يقول :

ـ نعم .. أنت يا (قدرى) .. ومشاركتك هى التى ساعدت (أدهم) على النجاح فى تلك العملية .

كرَّر (قدرى) فى انبهار شديد :

ـ أنا ؟!

فتح النائب الأوَّل لمدير المخابرات العامة المصرية أولى صفحات الملف ، وهو يقول :

ـ ستطالع هذا بنفسك .

اعتدل (قدرى) فى مجلسه ، وكل ذرة فى كيانه تنتفض انفعالاً ، وكيانه كله مرهف مع أذنيه اللتين تنصتان إلى نائب المدير ، الذى بدأ يروى تفاصيل العملية .. ومن البداية ..

* * *

ارتسمت ابتسامة هادئة على شفتى (أدهم صبرى) ، وهو يقف أمام رئيسه المباشر ، فى مبنى المخابرات العامة ، وهذا الأخير يطالع ملفًا فى يده فى سرعة ، قبل أن يرفع عينيه إليه ، قائلاً :

ـ لقد طالعت ملفك كله يا سيِّد (أدهم) ، منذ أيام عملك بقوات الصاعقة ، وحتى خلال العمليات المحدودة ، التى قمت بها لحساب جهاز المخابرات ، قبل التحاقك به رسميًّا .

ثم هزَّ رأسه ، وأغلق الملف ، مستطردًا :

ـ من الواضح أنك أكثر ميلاً إلى العنف ، لحسم كل عملياتك يا (أدهم) ، وهذا لا يناسب طبيعة عمل المخابرات العامة فى المعتاد .

هزَّ (أدهم) كتفيه ، وقال فى هدوء :

ـ المهمة هى التى تفرض أسلوب التعامل معها يا سيِّدى .

وافقه ضابط المخابرات بإيماءة من رأسه ، وقال :

ـ هذا صحيح إلى حد كبير يا (أدهم) ، وربما كان هذا ناشئًا عن عملك السابق ، فى قوات الصاعقة ، ولكنك الآن ضابط مخابرات عامة ، وكل ضابط هنا ينبغى أن يتعلَّم كيف يستخدم عقله وحده ، فى لعبة ذكاء قوية تشبه إلى حد كبير ما يحدث حول رقعة الشطرنج .

وتوقَّف لحظة ، قبل أن يسأله فى اهتمام :

ـ هل تجيد لعبة الشطرنج ؟!

ابتسم (أدهم) ، قائلاً :

ـ إلى حد ما .

تراجع الضابط فى مقعده ، قائلاً :

ـ عظيم .. أنت تعلم إذن أن لعبة الشطرنج لعبة خاصة جدًّا ، لا تعتمد على ذرة واحدة من الحظ ، ففوزك يعنى دومًا أنك أكثر براعة من خصمك ، أو أن خصمك أقل ذكاءً منك ، وفى كل حركة فى لعبة الشطرنج ، ينبغى أن تحسب جيِّدًا كل ما يمكن أن يأتى من احتمالات ، وأن تستنتج كل لعبة قادمة لخصمك ، والفائز فى النهاية هو الذى يمكنه خداع خصمه ، والوصول إلى مآربه ، بأبرع وسيلة ممكنة .. والفارق الأساسى ، بين ما يحدث فى عالمنا ، وما يدور على رقعة الشطرنج ، هو أن الرقعة مكشوفة تمامًا لطرفى الصراع ، ولكن عالمنا سرى غامض دومًا ، وبدلاً من أن ترى لعبة خصمك ، وتتخذ احتياطاتك لها ، على رقعة الشطرنج ، فأنت هنا تستنتج ، وتستنبط ، وتجمع المعلومات ، لتبنى فى ساحتك رقعة وهمية لساحة الخصم .

قال (أدهم) فى هدوء :

ـ الشطرنج أيضًا له قواعد ، لا يمكن تجاوزها ، أما فى عالمنا ، فالقواعد قابلة للتطوير والتطويع ، وفقًا لما تفرضه الظروف .

انعقد حاجبا الضابط ، وهو يقول :

ـ ربما كان هذا صحيحًا ، ولكن بالنسبة لهذه العملية ، من الأفضل أن تلتزم بالقواعد ، خاصة وأنك ستعمل تحت رياسة السيِّد (عمرو هاشم) ، وهو يدير القضية منذ بدايتها ، وستشترك أنت معه فى مرحلتها الأخيرة فحسب .

صمت (أدهم) لحظة ، قبل أن يقول :

ـ سأبذل قصارى جهدى يا سيِّدى .

أومأ الرجل برأسه ، قائلاً :

ـ وهذا كل ما نطلبه منك ، فى تجربتك الأولى هذه .

ثم اكتسى صوته بنبرة صارمة ، وهو يضيف :

ـ ولكن تذكَّر .. مهما حدث فى الأمر ، فلا تندفع إلى مثل ما فعلته فى (واشنطن) و (لانجلى) سابقًا(*).

استعاد (أدهم) ابتسامته ، وهو يقول مكررًا :

ـ سأبذل قصارى جهدى .

قال الضابط فى صرامة :

(*) راجع سلسلة الأعداد الخاصة .. العدد رقم ١٢ .. (الحصار) ..

ـ كلاَّ يا (أدهم) .. ليس فى هذه العملية بالذات ..

ثم مال إلى الأمام ، مضيفًا :

ـ أريد منك وعدًا ، بأنك لن تلجأ إلى عضلاتك أبدًا هذه المرة ، وأنك ستدير الأمر كله بعقلك .. وبعقلك وحده .. هل تفهم ؟!

صمت (أدهم) بضع لحظات ، وكأنما يعتمل فى أعماقه صراع عنيف ، ثم لم يلبث أن قال :

ـ أعدك يا سيِّدى .

تنهَّد رئيسه فى ارتياح ، وتراجع بمقعده ، مغمغمًا :

ـ هذا أفضل كثيرًا .

ثم التقط ملفًا آخر ، وناوله إلى (أدهم) ، قائلاً :

ـ ستجد تفاصيل العملية كلها فى هذا الملف .. ستقرؤه فى الحجرة الملحقة بمكتبى ، وتحفظ كل ما فيه عن ظهر قلب ، قبل أن تسافر إلى (باريس) ، للحاق بالسيِّد (عمرو) ، ومشاركته المرحلة الأخيرة ، التى يتعشَّم أن تتم بنجاح .

غمغم (أدهم) ، وهو يلتقط منه الملف :

- بإذن الله يا سيدى .. بإذن الله .

قالها ، واتجه إلى الحجرة المجاورة ، ليطالع كل ما يتعلق بالعملية ، التى سيشارك فى مرحلتها الأخيرة فحسب ، دون أن يدرى ، أو يخطر بباله ، أو ببال رئيسه ، ولو لحظة واحدة ، أن هذه العملية بالذات ستشهد تطورًا مباغتًا وخطيرًا للغاية ..

وأنها ستتحول فى لحظة واحدة ، من عملية عادية إلى قنبلة ..

قنبلة ستهز أجهزة الأمن فى (إسرائيل) كلها ..
وبمنتهى العنف .

* * *

٢ - رجل المخابرات ..

استنشق (أدهم) هواء (باريس) فى عمق ، وهو ينطلق داخل سيارة أجرة عتيقة الطراز ، نحو المنزل الآمن ، الذى يدير منه المقدم (عمرو) العملية كلها ، من قلب العاصمة الفرنسية ..

ومن أعماقه ، تصاعدت ذكرى قديمة لأولى مغامراته فى (باريس) ، أيام كان يتلقى تدريباته على يد والده الراحل ..

تلك المغامرة التى كانت مواجهته الفعلية الأولى ، مع العدو الإسرائيلى(*) ..

ارتسمت على شفتيه ابتسامة حالمة ، وهو يستعيد ذكرياته ، ثم لم يلبث أن نفض كل هذا عن ذهنه ، واسترخى فى مقعده ، وراح يستعيد تفاصيل ما قرأه فى ملف العملية ، ربما للمرة العاشرة ، منذ أقلعت به الطائرة من مطار (القاهرة) ...

(*) راجع سلسلة الأعداد الخاصة .. العدد رقم ١٢ .. (الحصار) ..

فالعملية كلها كانت تتعلَّق بمعلومة بالغة الخطورة ، كان لابد من الحصول عليها ، من قلب أخطر منطقة أمنية ، فى (إسرائيل) كلها ..

مفاعل (ديمونة) السرى ..

فبعد حرب أكتوبر مباشرة ، وعقب الهزيمة الساحقة ، التى مُنِىَ بها الجيش الإسرائيلى ، الذى ادعى قادته دومًا أنه جيش أسطورى لا يُقهر ، سرَّب الإسرائيليون معلومة تقول : إنهم بصدد إنتاج قنبلة ذرية محدودة ، يمكنها الإطاحة بمدينة عربية كاملة ، دون أن ينبعث منها أى نشاط إشعاعى ، يمكن أن يمتدّ إلى (إسرائيل)(*) ..

ولو صحَّت هذه المعلومة ، فهذا يعنى أن (إسرائيل) أصبحت تهدِّد بالفعل أمن كل دولة فى العالم العربى كله ..

وبلا استثناء ..

فالشىء الوحيد ، الذى يمنع (إسرائيل) إلى الأبد من شن أية حرب نووية ، على الرغم من ترسانتها ، التى ساعدتها على إنشائها الولايات المتحدة الأمريكية ،

(*) حقيقة ..

هو أن انفجارًا نوويًا واحدًا فى المنطقة يكفى لتلويثها ، من المحيط إلى الخليج ، وربما أبعد من هذا ، ولربع قرن على الأقل ..

وهذا سيشمل حتمًا (إسرائيل) نفسها ..

ولهذا فقد سعت (إسرائيل) بالفعل إلى إنتاج قنبلة نووية محدودة ، ذات نشاط إشعاعى قليل ، وخاصة بعد أن انهزمت هزيمة ساحقة فى حرب أكتوبر ، دون أن تجرؤ على استخدام سلاحها النووى ، ولو مرة واحدة ..

ومن الناحية العلمية ، كان إنتاج هذه القنبلة المحدودة دربًا من الخيال ، ونوعًا من التكنولوجيا المتطوِّرة ، التى تحتاج إلى نصف قرن آخر من التقدُّم على الأقل ، مثلما رجَّح علماء الذرة والطاقة فى (مصر) ..

ولكن المصادر تؤكِّد أن (إسرائيل) قد أنتجت هذه القنبلة بالفعل ..

والعلماء لم يمكنهم الجزم بصحة هذا الخبر من عدمه ، خاصة أنه فى مضمار العلم والتكنولوجيا ، يمكن أن تحدث طفرة مباغتة ، فى أية لحظة ، بسبب كشف علمى جديد ، أو تقنية تكنولوجية تبرز إلى الوجود بغتة ، دون سابق إنذار ..

وهنا كان من المحتم أن يتم حسم الأمر ، لتحديد طبيعة المرحلة التالية ، وقواعد المواجهة فيها ..

وطبقًا لتقارير خبراء المخابرات ، وضباطها المحنكين ، الذين قضوا أكثر من نصف أعمارهم ، وسط الصراع العربى الإسرائيلى ، بكل عنفه وخطورته ، كانت الوسيلة الوحيدة المؤكدة ، لحسم الأمر تمامًا ، هى الحصول على الجواب من داخل مفاعل (ديمونة) نفسه دون سواه ..

وكان هذا أمرًا مستحيلاً بكل المقاييس ..

فلأن الإسرائيليين يدركون جيِّدًا مدى أهمية وخطورة مفاعلهم الذرى الوحيد ، فهم يحيطونه بسياج أمنى بالغ القوة والإحكام ، بحيث يختارون موظفيه ، والعاملين فيه ، وحتى عمال النظافة ، بعد مراجعة دقيقة لتاريخهم ، وأحوالهم ، وحتى حالاتهم النفسية ..

والدخول إلى المكان لا يمرّ أبدًا فى سهولة ، فعلى الرغم من أن كل من يعمل فيه يحمل هوية خاصة ، غير قابلة للتزوير أو التزييف ، إلا أنه فى كل مرة ، يدخلون فيها إلى المكان ، يتم فحص بصماتهم ، بوساطة جهاز جديد ، تم استيراده من (اليابان) مباشرة ، كأحدث تكنولوجيا معروفة ، فى تلك الفترة من الزمن ..

ثم إن كل العاملين تتم مراقبتهم طوال الوقت ، حتى فى إجازاتهم وحياتهم الشخصية ، خشية أن ينجح أى جهاز مخابرات عربى فى التسلُّل إليهم ، وتجنيدهم ، والحصول منهم على أية معلومات سرية ، من داخل المفاعل ..

ووسط كل هذا ، كان المطلوب من المخابرات المصرية أن تجد شخصًا من داخل المبنى ..

وأن تنجح فى السيطرة عليه ..

وتجنيده لحساب المخابرات المصرية ؛ لتحصل منه على تلك المعلومة بالغة الأهمية والخطورة ..

ولقد استلزم هذا قيام أفضل خبراء الجهاز بمراجعة وتقييم وإعادة فحص كل المعلومات المتوافرة ، عن كل العاملين بالمفاعل الذرى الإسرائيلى ، لمدة أسبوعين كاملين ..

وفى البداية ، بدا وكأنه من المستحيل الإيقاع بأى منهم .

ثم فجأة ، برزت ثغرة ما ..

ثغرة صغيرة للغاية ، حتى إنه من المؤكَّد أن الإسرائيليين لم ينتبهوا إليها ، أو تخطر حتى ببالهم ..

وهذا هو المبدأ الأوَّل ، فى عالم المخابرات ..

أنه ما من نظام أمنى محكم إلى حد الكمال ..

هناك حتمًا ثغرة ما ..

فى مكان ما ..

وبراعة أى جهاز مخابرات تكمن فى قدرته على كشف أية ثغرة فى أسوار خصمه ، وإيجاد أفضل وسيلة ممكنة لاستغلالها ، والتسلل عبرها ، للحصول على كل ما يحتاج إليه ..

والثغرة هذه المرة كانت عبارة عن موظف فى قسم المعلومات ، داخل مفاعل (ديمونة) ، يُدعى (جاك موروني) ..

و (موروني) هذا مهاجر بولندى ، وصل إلى (إسرائيل) فى منتصف الخمسينات ، وحصل كأى مهاجر جديد ، على وظيفة زراعية بسيطة ، فى مزرعة من المزارع المنشأة حديثًا ..

ولكنه لم يقبل بهذه الوظيفة قط ..

لقد أصرَّ على أن مؤهلاته تفوق هذا العمل التافة بآلاف المرات ، باعتبار أنه حاصل على شهادة عليا فى الفيزياء وأبحاث الذرَّة ..

ومن الواضح أن إصراره هذا قد أثمر كثيرًا ، فقد حصل فى أوائل الستينات على وظيفة جيِّدة ، فى هيئة الطاقة الذرية الإسرائيلية ، وراح يتدرَّج فى المناصب ؛ نظرًا لنشاطه وكفاءته ، حتى التحق بمفاعل (ديمونة) ، فى أواخر الستينات ، وأصبح أحد موظفى قسم المعلومات العلمية ، فى منتصف عام ١٩٧٣ م .

والنظرة الأوَّلية لملف (موروني) توحى بأنه موظف مثالى ، وشخص لا يمكن أن يتطرَّق إليه الشك لحظة واحدة ..

ولكن المخابرات المصرية لم تكتف بما ورد فى ملفه من معلومات ، ولا بكل تفاصيل حياته ، منذ هاجر إلى (إسرائيل) ..

لقد امتدّ بحثها إلى حياته فى بلدته الأم فى (بولندا) ..

وهنا ، برزت تلك الثغرة ..

كان الأمر فى البداية مجرَّد معلومة ، تشير إلى أن (موروني) الشاب قد تورّط ذات يوم فى فضيحة أخلاقية مخزية ، فى أثناء سهرة عابثة فى (وارسو) ..

ولقد ألقت الشرطة القبض عليه حينذاك ..

ولكن العجيب أن المعلومات كلها توقَّفت عند هذا الحد ..

لا تحقيقات ، أو اتهامات ، أو حتى أمر بالحجز والإيقاف ..

لا شيء على الإطلاق ..

وعند هذه النقطة ، توقَّف المقدِّم (عمرو هاشم) ، الذى يتولَّى القضية ، وجمع فريق خبرائه ومعاونيه ، وراحوا يدرسون الأمر مرة ..

وثانية ..

وثالثة ..

ورابعة ..

ثم اتضحت لهم الصورة بغتة ..

ففى عالم المخابرات ، يوجد تفسيرات فحسب ، لإلقاء القبض على شخص ما ، فى حالة تلبس ، فى قضية مخزية ، ثم الإفراج عنه بعدها ، دون قيد أو شرط ، أو سؤال واحد فى محضر تحقيق بسيط ..

فإما أن يكون هذا الشخص قريبًا أو صديقًا لأحد أصحاب السلطة أو النفوذ ، ممن تدخَّلوا لانتشاله من مستنقعه ..

أو أن صفقة ما قد أبرمت مع المتهم ، وتم الإفراج عنه بموجبها ..

ولأن التحريات أثبتت أن (مورونى) كان من عائلة بسيطة مكافحة ، لا ترتبط بأى حال من الأحوال ، بأى شخص من أصحاب السلطة أو النفوذ ، فقد تبقَّى الاحتمال الثانى وحده ..

الصفقة ..

وهنا ، قال المقدِّم (عمرو) فى حزم :

ـ لو أن ما يدور فى ذهنى صحيح ، فالسيِّد (مورونى) هذا عميل مستتر للمخابرات السوفيتية ، فى قلب (إسرائيل) .

كان قوله هذا مباغتًا للكل ، إلا أنه لم يكد يفسِّره ، حتى مال إليه الجميع فورًا ..

فبعد الحرب العالمية الثانية ، وفى تلك الفترة ، التى تورَّط فيها (مورونى) فى فضيحته الأخلاقية ، كانت (بولندا) خاضعة للسيطرة السوفيتية ، وكان جهاز المخابرات السوفيتى (كى. جى. بى) يصول فيها ويجول ، باعتبارها أرضًا سوفيتية ، وإن كان نظامها السياسى مستقلاً ، من الناحية الرسمية ..

ولأن معظم اليهود البولنديين كانوا يسعون للهجرة إلى (إسرائيل) ، فى تلك الفترة ، فرارًا من ضغوط الشيوعية الخانقة ، كان من الطبيعى أن يكون (مورونى) هو أحد الساعين إلى الهجرة ، والذين لا يخفون رغبتهم هذه عن أحد ..

ومن الطبيعى أيضًا أن تدرك المخابرات السوفيتية هذا ، وأن تسعى لتجنيد بعض هؤلاء المهاجرين لحسابها ؛ ليكونوا عيونًا لها فى قلب (إسرائيل) ، إذا ما دعت الحاجة إلى هذا ..

والروس لهم أسلوب خاص فى مثل هذه الأمور ..

وتوريط (مورونى) فى تلك الفضيحة الأخلاقية ، الكافية لتدمير مستقبله ، هو واحد من أفضل وأشهر أساليبهم ..

ففى الوقت الذى تتصوَّر فيه الضحية أنها قد انتهت تمامًا ، ولم يعد لديها أمل فى النجاة ، يظهر ضابط مخابرات سوفيتى بغتة ، ويعرض إسقاط التهم كلها ، ومنح الضحية سجلاً نظيفًا ، ومستقبلاً مشرقًا ، مقابل التعاون مع المخابرات السوفيتية ..

وفى مثل هذه الظروف ، يبدو العرض أشبه بالقشة ، التى يتعلَّق بها الغريق ، لذا فالضحية تقبل العرض دومًا ، وتوقِّع بلا شروط على كل ما يقدَّم لها من أوراق ، مقابل الخروج من هذا المأزق الفظيع ..

وعندئذ تكون قد تورَّطت مع المخابرات السوفيتية ..

وإلى الأبد ..

وفى حالة مثل حالة (جاك مورونى) ، لا يكون للمخابرات السوفيتية هدف محدود تجاه تجنيده ، لذا فهم يعتبرونه مجرَّد جاسوس تابع لهم ، فى الموقع الذى يريدونه ، ولا حاجة لدفعه إلى أى نشاط ، بحيث يتطوَّر على نحو طبيعى ، فى مجتمعه الجديد ، دون أن يتطرَّق إليه أدنى شك ، ودون أن يُطلب منه القيام بأى شىء على الإطلاق ، تجاه المخابرات السوفيتية ..

وهذا النوع من الجواسيس ، يُطلق عليه فى عالم المخابرات اسم (الجاسوس النائم) ، وهو ذلك الشخص ، الذى يمكن إيقاظه وإعادة تنشيطه فى أية لحظة ، عندما تدعو الحاجة إليه ..

ودائمًا ما يسىء الجاسوس النائم فهم دوره ، عندما تمضى سنوات وسنوات ، دون أن يحاول جهاز المخابرات ، الذى قام بتجنيده ، الاتصال به ، أو مطالبته بأى شىء ، ويتصورّ مخطئًا أنهم قد نسوا أمره تمامًا ، ولم تعد بهم حاجة إليه ..

حتى يحتل منصبًا مهمًّا ، أو يتبوأ وظيفة ذات حساسية فائقة ..

عندئذ يفاجئه ظهور المخابرات السوفيتية فى حياته ، ومطالبته له باستغلال منصبه أو وظيفته ، أو تقديم معلومات بالغة الخطورة عن وطنه ..

وفى رأى المقدِّم (عمرو هاشم) ، كان (جاك مورونى) جاسوسًا نائمًا للمخابراتْ السوفيتية ..

ولهذا لم تكشف أجهزة الأمن الإسرائيلية أمره قط ..

لقد راجعوا ملفات حياته ، منذ وصل إلى (إسرائيل) ، ولم يجدو بها ثغرة واحدة ، أو حتى نقطة شك بسيطة ، يمكن أن تمنع تعيينه فى مفاعل (ديمونة) .

ثم إن مراقبتهم الدائمة له ، لم تسفر عن أى شىء ، لأن أحدًا من المخابرات السوفيتية لم يحاول الاتصال به ولو مرة واحدة ..

وكانت نظرية المقدِّم (عمرو) منطقية للغاية ، على الرغم من خطورتها ..

وكان على جهاز المخابرات أن يسعى بكل جهده للتأكّد منها ..

أو نفيها ..

•

ولقد احتاج هذا إلى أسبوع آخر ، نشط فيه كل عملاء المخابرات المصرية ، فى أروقة السلطات السوفيتية ، للبحث عن أى خِيط ، يمكن أن يقود إلى الحقيقة ..

وعندما عاد (أدهم) من (واشنطن) ، كانت المعلومات قد وصلت بالفعل من قلب (موسكو) ، لتؤكِّد نظرية المقدِّم (عمرو) ..

(جاك مورونى) بالفعل جاسوس نائم للمخابرات السوفيتية ، التى نسيت أمره تمامًا تقريبًا ، ولم تعد تبالى بشأنه قط ، مع تغير قياداتها ، إثر التغيرات الكبيرة ، التى حدثت بالحزب الشيوعى ، فى تلك الفترة ، والتى أدت إلى إحلال قيادات جديدة فى معظم أجهزة الدولة ، وخروج عدد كبير من ضباط المخابرات ، الذين ينتمون إلى القيادات السابقة ، وتجاهل كل ملفات القضايا الباردة ، من العصر القديم ..

وكانت هذه هى الثغرة ، التى يمكن أن يتسلّل عبرها جهاز المخابرات المصرى ، إلى قلب المفاعل الذرى الإسرائيلى ..

النقطة التى تبقّت هى : كيف ؟!

كيف يمكن استغلال هذه المعلومة ، للسيطرة على (مورونى) ، ودفعه إلى العمل لحساب (مصر) ، وتحت علمها ، على الرغم من انتمائه قلبًا وقالبًا لـ (إسرائيل) ؟!

كيف ؟!

كيف ؟!

« لهذا طلبت انضمامك إلينا يا (أدهم) .. »

نطق المقدّم (عمرو) العبارة فى حزم ، بعد أن استقبل (أدهم) ، فى ذلك المنزل الآمن ، فى قلب (باريس) وتراجع فى مقعده الوثير ، وهو يشير بيده ، متابعًا بنفس الحزم :

ـ من حسن حظنا أن فوجًا سياحيًّا إسرائيليًّا ، من العاملين فى مفاعل (ديمونة) ، يزور (باريس) الآن ، وسيقضى فيها أربعة أيام ، قبل العودة إلى (تل أبيب) ، وهذا الفوج يضمّ (جاك مورونى) ، ولكن الإسرائيليين أرسلوا اثنين من (الموساد) ، فى هيئة سائحين عاديين ، لمراقبة الباقين خفية ، والتدخل عند الحاجة ، وعند أوّل بادرة شك ..

ومطّ شفتيه ، قبل أن يضيف :

ـ وعلينا نحن أن نجد وسيلة للاتصال بـ (مورونى) ، ودفعه إلى الانفصال عن الفوج بأية حجة ، حتى يمكننا مواجهته بما نعرفه عنه ، والسيطرة عليه ، قبيل عودته إلى (إسرائيل) .

سأله (أدهم) فى اهتمام :

ـ وبم سنواجهه بالضبط ؟!

ابتسم المقدّم (عمرو) ، قائلاً :

ـ يقولون : إنك بارع فى التنكُّر إلى حد كبير ، وإنك تجيد عدة لغات ، منها اللغة الروسية ، لذا فستلتقى به باعتبارك أحد رجال المخابرات السوفيت ، الذين يسعون لإيقاظه من سبات جاسوسيته الطويلة ، ثم تحدّد له موعدًا لمقابلتك ، وسنقوم نحن بتصوير لقائكما وتسجيله ، بحيث يصبح لدينا دليل يكشف أمر عمله لحساب السوفيت ، كما سيتصوَّر هو ، وبعدها نجبره على العمل لحسابنا .

انعقد حاجبا (أدهم) ، وهو يفكِّر فى الأمر بضع لحظات ، قبل أن يقول :

ـ قل لى يا سيِّد (عمرو) : أهذه الخطة نهائية ، أم أنه من الممكن تعديلها أو تطويرها ؟!

سأله (عمرو) فى حذر :

ـ كيف ؟!

اعتدل ، مجيبًا فى اهتمام :

ـ أعنى أنه ليس من الضرورى أن ندفعه إلى التعاون معنا ، باعتبارنا المخابرات المصرية ، إذ إن هذا يمكن أن

يستفز مشاعره ، ويدفعه إلى التمرُّد ، خاصة أن الفحص النفسى له ، من قبل خبرائنا ، لم يكتمل بعد نظرًا لضيق الوقت ، ومن الممكن أن يأتى رد فعله عنيفًا ، فيفسد الخطة كلها .

مال المقدّم (عمرو) إلى الأمام ، وهو يسأله فى اهتمام مماثل :

ـ ماذا تقترح إذن ؟!

أشار (أدهم) بيده ، مجيبًا :

ـ أن نعمل معه طوال الوقت ، باعتبارنا المخابرات السوفيتية ، وليس المصرية .

ارتفع حاجبا المقدّم (عمرو) واتسعت عيناه لحظة فى دهشة ، ثم لم يلبث أن استعاد هدوءه ، وعاد يتراجع فى مقعده فى بطء ، وهو يرمق (أدهم) بنظرة إعجاب ، قائلاً :

ـ وهذا لن يدفعه إلى التمرُّد بعنف .

هتف (أدهم) فى حماسة :



ارتفع حاجبا المقدَّم (عمرو) ، واتسعت عيناه لحظة فى دهشة ، ثم لم يلبث أن استعاد هدوءه ..

ـ بالتأكيد ، فبالنسبة إلى إسرائيلى متعصّب ، التورُّط مع المخابرات السوفيتية أهون كثيرًا من العمل لحساب المخابرات المصرية ، وخاصة بعد هزيمة الجيش الإسرائيلى فى (مصر) ، (سوريا) .

أومأ المقدَّم (عمرو) برأسه متفهمًا ومقتنعًا ، وهو يغمغم :

ـ بالتأكيد .

ثم سأل (أدهم) فى اهتمام :

ـ ولكن هذا يعنى أنك ستتولى الأمر كله بنفسك ، باعتبار أنك الوحيد ، الذى يجيد الروسية بيننا .

اعتدل (أدهم) ، قائلاً فى حزم :

ـ سأبذل قصارى جهدى يا سيِّدى .

ابتسم المقدَّم (عمرو) فى إعجاب ، قائلاً :

ـ أنا واثق من هذا .

ثم نهض من مقعده ، وأشار إلى ساعته ، قائلاً :

ـ ولكن لحظة الاختبار الحقيقية حانت يا (أدهم) ، فبعد نصف الساعة فحسب ، سيكون الفوج الإسرائيلى

السياحى عند برج (إيفل) ، أشهر معالم (باريس) ، وعليك أن تستعد لتغيير هيئتك ، بحيث يقتنع بأنك روسى ، من النظرة الأولى .

سأله (أدهم) فى اهتمام :

ـ هل حصلنا على اسمه الكودى ، فى المخابرات السوفيتية ؟!

أومأ (عمرو) برأسه ، قائلاً :

ـ (نيكولاى) .

ابتسم (أدهم) ، وقال :

ـ عظيم .. أعتقد أن لقائى بالسيِّد (جاك مورونى) سيكون ممتعًا .. ممتعًا بحق .

ولم يبتسم المقدِّم (عمرو) بالمثل ..

ففى أعماقه ، بدأ يتصاعد شعور مخيف ، بأن هذه العملية لن تمضى فى سلام ..

لن تمضى كذلك أبدًا ..

★ ★ ★

قهقه (جاك مورونى) فى سعادة غامرة ، وهو يلتقط صورة لبرج (إيفل)(*) ، هاتفا فى مرح :

ـ رائعة هى هذه الرحلات السياحية .. لقد كدت ألتصق بمكتبى ، من كثرة العمل ، فى الأشهر الماضية .

ابتسمت رفيقة رحلته (جيفيت) قائلة :

ـ هذا أمر طبيعى ، فأمثالكم يحتاج إليهم الوطن دومًا .

قهقه مرة أخرى ، وهو يقول :

ـ من الواضح أن فكرتك عنا أكبر من حجمنا الفعلى يا (جيفى) .

بدت ابتسامتها رصينة غامضة ، وهى تقول :

ـ بل يبدو أن فكرتكم أنتم عن حقيقتكم أقل من الواقع يا (جاك) .

أطلق ضحكة مرحة لعبارتها ، والتفت لالتقاط صورة أخرى ، عندما سمع بغتة صوتا يهمس فى أذنه بالعبرية ، مع لكنة روسية واضحة :

(*) برج إيفل : أحد أشهر معالم (باريس) السياحية ، صممه الفرنسى (ألكسندر جوستاف إيفل) (١٨٣٢ ـ ١٩٢٣م) ، وارتفاعه حوالى ٣٢٨ مترًا ، أقيمت عند قمته محطة للأرصاد الجوية ، وأخرى للاتصالات اللاسلكية ..

ـ أهلا يا (نيكولاى) .

جفَّت الدماء فى عروقه ، وتجمَّدت أطرافه ، وسرت فيها ارتعاشة باردة عجيبة ، عندما سمع اسمه الكودى ، يتردَّد بتلك اللكنة ، بعد أن كاد ينساه ، مع مرور السنين ..

وبكل توتره وانفعاله ، استدار إلى مصدر الصوت ، بحركة حادة للغاية ، وحدَّق فى الزحام المحيط به ، وتوقَّف بصره على شعر أشقر ، لرجل يبتعد فى هدوء ..

« ماذا حدث يا (جاك) ؟! »

ألقت (جيفيت) السؤال عليه فى اهتمام حذر ، فالتفت إليها بحركة مذعورة ، وحدَّق فى وجهها لحظة ، قبل أن ينتفض ، قائلاً :

ـ خُيِّل إلىَّ أن ..

بتر عبارته بغتة ، فسألته فى اهتمام ، مشوب بلمحة من الصرامة :

ـ أن ماذا ؟!

حدَّق فى وجهها لحظة أخرى ، ثم هزَّ رأسه فى قوة ، قائلاً :

ـ لا شىء .. لا شىء .

تطلَّعت إليه بضع لحظات ، فى شك واضح ، وهو يحاول عبثًا التقاط المزيد من الصور ، ثم لم تلبث أن أشاحت بوجهها ، قائلة :

ـ فليكن .. هذا شأنك .

أما هو ، فقد شعر بغصة فى حلقه ، وبتوتر يسرى فى كيانه كله ، وحاول أن يخفى كل هذا بالتشاغل بالتصوير ، وعقله يكاد يرتعد من فرط التفكير ..

تُرى من هذا ، الذى خاطبه باسمه الكودى ، لدى المخابرات السوفيتية ؟!

من يعرف ذلك الاسم ، الذى كاد هو ينساه ؟!

من ؟!

من ؟!

تُرى أهم من رجال المخابرات السوفيتية بالفعل ؟!

لماذا تذكروه ، بعد كل هذه السنين ؟!

لماذا سعوا إليه ، بعد أن تصوَّر أنهم قد نسوا أمره تمامًا ؟!

لماذا ؟!

لماذا ؟!

كـاد عقلـه يلتهـب من شـدة التفكيـر ، وانفصل بذهنــه الشــارد تمامًا عن الفوج السياحى الإسرائيلى ، على الرغم من سيره وسطه طوال الوقت ، حتى سألته (جيفيت) فـى اهتمام :

ـ ماذا أصابك ؟!

سألها فى عصبية :

ـ وماذا أصابنى ؟!

هزّت كتفيها ، قائلة :

ـ سل نفسك .. لقد كنت شديد المـرح ، تمــلأ ضحكاتك المكان صخبًا وضجيجًا ، ثم فجأة ، أصبحت متوترًا عصبيًّا شاردًا ، والمرء لا يتحوّل هكذا دون أسباب .

بحث عقله فى سرعة عن أى سبب ، يمكن أن يقنعها ، قبل أن يقول :

ـ لقد تذكّرت شيئًا يخصّ العمل .

سألته فى حذر أكثر :

ـ وهل يمكن للمرء أن يصاب بكل هذا ، لمجرّد تذكّره العمل ؟!

لوّح بذراعه ، قائلاً فى عصبية :

ـ إنه خطأ ارتكبته دون أن أدرى ، ولقد تذكّرتــه الآن ، وأخشى أن يتسبّب فى أية مشكلات ، قبل أن أعود لتفاديه .

أشارت بيدها ، قائلة :

ـ يمكنك الاتصــال بأحد زملائــك هاتفيًّا ، لإصــلاح هذا الخطأ .

انعقد حاجباه بضع لحظات فى صمت ، قبل أن يغمغم :

ـ نعم .. ربما أفعل .

تحسّست وجهه فى نعومة ، وهى تبتسم ، قائلة :

ـ عظيم .. هيا .. ابتسم إذن ، واستعد مرحك ، فلســنا نحظى برحلة جميلة كهذه فى كل يوم .

بذل جهدًا يفوق قدراته ، ليبتسم ، قائلاً :

ـ هكذا ؟!

ضحكت ، قائلة :

ـ نعم .. هكذا ..

ثم تأبَّطت ذراعه ، وهى تضيف فى اهتمام :

ـ والآن حاول أن تستمتع ببرنامج الرحلة ، فالآن سنستقل مترو الأنفاق الباريسي الشهير ، أحد أقدم نظم المترو فى العالم ، والذى كان لأنفاقه شهرة واسعة ، أيام الحرب العالمية الثانية ، عندما استخدمته المقاومة الفرنسية كمخبأ لها .

تمتم ، وهو يقاوم شروده فى صعوبة :

ـ أمر طريف للغاية .

سار معها ، وهو يرسم على شفتيه تلك الابتسامة الزائفة ، وعقله مشغول فى البحث عن أسباب اتصال المخابرات السوفيتية به مرة أخرى ..

وفى سعادة ومرح ، دلفت (جيفيت) إلى مترو الأنفاق ، وهتفت :

ـ هيا يا (جاك) .. هيا ..

دفع قدميه إلى الأمام ، ليدلف بدوره إلى المترو ، عندما احتكّ به شخص من الخلف ، هامسًا فى صرامة ، بتلك اللكنة الروسية :

ـ لا تبتعد عن الباب .

تجمَّد (مورونى) مرة أخرى ، وسرت فى جسده تلك القشعريرة الباردة كالثلج ، ولكنه قاوم فى استماتة ، حتى لا يبدو هذا لرفيقة الرحلة ، ودفع قدمه داخل المترو فى صعوبة ، وتوقَّف عند الباب ، فسألته (جيفيت) فى حيرة :

ـ لماذا تقف عندك ؟!

لم يدر بماذا يجيبها ، على الرغم من أن شفتيه قد انفرجتا ، وكأنما يهمّ بقول شىء ما ، عندما ارتفع ذلك الرنين المميَّز فى المحطة ، إيذانًا بإغلاق الأبواب ، وانطلاق المترو فى رحلته ، و ...

وفجأة ، وفى اللحظة الأخيرة ، قبل إغلاق أبواب المترو ، برز فجأة شاب أشقر ، أزرق العينين ، من بين رواد المحطة ، ووثب كأنه يسعى للتعلُّق بالباب ، فى لحظته الأخيرة ..

وبحركة بدت عفوية تمامًا ، تعلَّق ذلك الشاب بسترة (مورونى) ثم جذبه معه ، عندما اختل توازنه ، خارج المترو ، ليسقط الاثنان على رصيف المحطة ، فى نفس اللحظة التى أُغلِقَتْ فيها أبواب المترو ، وبدأ رحلته ..

وفى جزع ، هتفت (جيفيت) باسم (مورونى) ، والمترو يمضى بها داخل النفق ، فى حين صاح هذا الأخير فى غضب ، وهو ينهض من سقطته :

ـ أية حماقة تلك التى ..

ارتطمت عيناه فجأة بعينى (أدهم) ، وعدساتها الزرقاء الصافية ، وشعره الأشقر المستعار ، ونظراته الصارمة ، وهو يقاطعه ، قائلاً :

ـ الحق بى يا (نيكولاى) .

قالها ، ونهض فى حزم ، وأولاه ظهره ، وهو يتجه نحو سلم الخروج ، فتلفت (مورونى) حوله فى هلع ، قبل أن يلحق به فى رعب ، هامسًا :

ـ أرجوك .. لو رآنا أحد معًا ، فسوف ..

قاطعة (أدهم) ، وهو يواصل طريقه ، دون أن يلتفت إليه :

ـ الفوج كله داخل مترو الأنفاق الآن ، ولن يتوقفوا قبل المحطة التالية .

هتف (مورونى) فى هلع :

ـ ولكن غيابى عنهم سوف ..

قاطعه (أدهم) مرة أخرى ، وهما يغادران المحطة :

ـ لو أنك سقطت عفوًا من المترو بالفعل ، فما رد الفعل التلقائى لك ؟!

بهت (مورونى) للسؤال ، فتوقَّف لحظة ، ثم عاد يلحق بـ (أدهم) ، مجيبًا :

ـ أحاول اللحاق بالفوج ، فى المحطة التالية .

اتجه (أدهم) فى حزم نحو سيارة أجرة عتيقة الطراز ، من تلك التى تشتهر بها (باريس) ، واحتلَّ مقعد قيادتها ، وهو يقول فى صرامة :

ـ وهذا ما ستفعله .

تردَّد (مورونى) لحظة ، فأضاف (أدهم) فى صرامة أكثر ، وبنفس اللكنة الروسية :

- هل ستضيع المزيد من الوقت ؟!

دلف (مورونى) فى سرعة ، إلى المقعد الخلفى للسيارة ، التى انطلق بها (أدهم) فورًا ، والإسرائيلى يسأله بصوت مرتجف :

- ماذا تريدون منى ، بعد كل هذه الأعوام ؟!

أجابه (أدهم) فى صرامة :

- أنت تعمل الآن فى مفاعل (ديمونة) .. أليس كذلك ؟!

ارتجف صوت (مورونى) ، وهو يقول :

- بلى ، ولكن ..

قاطعه (أدهم) بنفس الصرامة :

- أنت مدين لنا ببعض المعلومات ، ما دمت تعمل لحسابنا .

هتف (مورونى) فى حدة :

- أنا لم أعد أعمل لحسابكم .

أجابه (أدهم) :

- ما لدينا من أوراق وتوقيعات يوحى بالعكس تمامًا .

ازدرد (مورونى) لعابه فى صعوبة ، وهتف :

- ولكننى لا أستطيع منحكم أية معلومات .. مستحيل !

قال (أدهم) بكل صرامة الدنيا :

- نحن لا نحب سماع كلمة مستحيل هذه !

زاغت عينا (مورونى) ، وهو يقول :

- ولكن الأمر ليس سهلاً كما تتصورون .. أية معلومة تتسرَّب ، ستكشف الشخص المسئول عن تسريبها ، فهم لدينا يوزعون المعلومات والمسئوليات على نحو دقيق وصارم للغاية .

صمت (أدهم) لحظة ، ثم قال :

- لقد وصلنا .. انتظرنا الليلة ، فى حجرتك بالفندق .

هتف (مورونى) ذاهلاً :

- فى حجرتى ؟! هل تعرفون أيضًا أين أقيم ..

أجاب (أدهم) فى صرامة :

- الواحدة والنصف بعد منتصف الليل .. فندق (لومارش) .. الطابق الثالث .. حجرة ثلاثمائة وأربعة .

ثم التفت إليه ، مضيفًا بنظرة تجمَّدت لها دماء الإسرائيلى فى عروقه :

ـ هيا .. الحق بفوجك .

حدَّق (مورونى) فى وجهه لحظة برعب ، ثم أسرع يغادر السيارة ، ويعدو نحو محطة مترو الأنفاق التالية ، فى نفس اللحظة التى انطلق فيها (أدهم) مرة أخرى بالسيارة ، وهو يبتسم فى ظفر ، لنجاح خطة المواجهة الأولى ..

ومن المؤكَّد أنه لم يخطر بباله لحظة واحدة ، أن رد فعل (جاك مورونى) سيخالف كل التوقعات بلا استثناء ، وسيقلب الأمور كلها رأسًا على عقب ..

فى الواحدة والنصف ..

بعد منتصف الليل .

* * *

باسل
Www.dvd4arab.com

٣ ـ الهروب ..

انهمك مدير المخابرات فى مراجعة آخر التقارير ، الواردة من (باريس) ، فى تلك الساعة المتأخرة من الليل ، عندما انبعث صوت مدير مكتبه ، من جهاز الاتصال الداخلى ، وهو يقول فى حذر :

ـ سيِّدى .. الدكتور (وحيد) ، من قسم علم النفس ، يطلب مقابلتك لأمر مهم .

اعتدل المدير ، وقال فى سرعة :

ـ دعه يدخل فورًا .

مضت لحظة ، قبل أن يدلف الدكتور (وحيد) إلى المكان ، وهو يحمل ورقة فى يده ، قائلًا :

ـ مساء الخير يا سيادة المدير .. معذرة لقدومى فى هذه الساعة المتأخرة ، ولكن ..

ابتسم المدير ، وهو يشير إليه ، قائلاً :

ـ تفضَّل يا دكتور (وحيد) .. مكتبى مفتوح لك دومًا ، فى أية لحظة ، من الليل أو النهار ، وخاصة عندما يتعلَّق هذا بالعمل .

لوَّح الدكتور (وحيد) بالورقة التى يحملها ، قائلاً فى توتر ملحوظ :

ـ هذا يتعلَّق بعملية (باريس) .. عملية (ديمونة) .

اعتدل المدير فى مجلسه ، وهو يقول فى اهتمام قلق :

ـ ماذا عنها ؟!

أشار الدكتور (وحيد) إلى الورقة ، قائلاً :

ـ إنه تقرير المتابعة النفسية لذلك الإسرائيلى .. لم نكن قد سلمناه للمسئولين عن العملية بعد ، لأنهم اضطروا لبدء خطتهم ، قبل أن ننتهى منه ، ولكننى أتعشَّم ألا يكونوا قد أجروا اتصالهم به بعد .

غمغم المدير ، وهو يشير إلى التقرير ، الذى وصله من (باريس) منذ دقائق :

ـ ولكنهم اتصلوا به بالفعل ، مع تطوير فى الخطة .

شحب وجه الدكتور (وحيد) ، وترك جسده يسقط على مقعد قريب ، وهو يردِّد :

ـ يا إلهى ! إذن فقد فات الوقت .. يا إلهى ! يا إلهى !

مال المدير إلى الإمام ، وقد بلغ قلقه مبلغه ، وهو يسأله :

ـ ما الذى يمكن أن يحدث ، لو اتصلوا به ، وفقًا للخطة المعدَّلة ؟!

لوَّح الرجل بيده فى الهواء ، قائلاً :

ـ مع شخص كهذا ، ينبغى اتباع خطة نفسية دقيقة ، وخاصة عندما يرتبط الأمر بنوع من الضغط النفسى ، أيًّا كان .

سأله المدير فى اهتمام وقلق أكثر :

ـ وما داموا قد اتبعوا خطتهم ، وليس تلك الخطة النفسية ، فما الذى يمكن أن يحدث الآن ؟!

زفر الدكتور (وحيد) ، قائلاً :

ـ كارثة .

ثم ناوله التقرير النفسى ، فاختطفه المدير من يده فى لهفة ، وطالعه بسرعة ، قبل أن يهتف :

ـ يا إلهى !

فالنتيجة التى توقَّعها التقرير ، بعد الفحص النفسى لشخصية (جاك مورونى) ، كان يعنى بالفعل كارثة ..

كارثة ستقلب الأمور كلها رأسًا على عقب ..

وبعنف ..

★ ★ ★

« هل تعتقد أنه سيستسلم ؟! »

ألقى المقدِّم (عمرو) السؤال على (أدهم) فى اهتمام ، وهما فى طريقهما لمقابلة (مورونى) ، فى حجرته بفندق (لومارش) ، فهزَّ (أدهم) كتفيه ، قائلاً :

ـ وماذا لديه سوى هذا ؟!

حاول (عمرو) أن يسترخى فى مقعده ، وهو يقول :

ـ ربما يبلغ أحد رجلَى (الموساد) ، المصاحبين للرحلة .

صمت (أدهم) لحظة ، وهو يقود السيارة ، فى شوارع (باريس) ، بعد منتصف الليل ، ثم لم يلبث أن قال :

ـ لست أظنه يجرؤ على هذا ، فإبلاغ (الموساد) يعنى كشف أمره كله ، وأمر عمله لحساب السوفيت منذ البداية ، وهم لن يتسامحوا مع هذا أبدًا ، ، وهو يعلم هذا .. ويعلم أيضًا أنهم لن يصدِّقوا أبدًا أنه لم يكن جاسوسًا نشطًا ، طوال كل هذا الوقت ، وربما يحاكمونه بتهمة الجاسوسية .

قال (عمرو) :

ـ ربما يتصوَّر أنهم سيتسامحون معه ، ويغفرون له ماضيه ، ما دام قد أبلغهم بأمرنا .

قال (أدهم) فى حزم :

ـ إنه أذكى من أن يتصوَّر هذا .

تنهَّد المقدِّم (عمرو) ، قائلاً :

ـ أتعشَّم ألا يكون أذكى من أن يتعامل معنا !

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول :

ـ ليس أمامه بديل .

غمغم (عمرو) :

ـ بالتأكيد .

ساد بينهما الصمت بعض الوقت ، حتى وصلت السيارة إلى فندق (لومارش) ، فأوقفها (أدهم) عند بداية الشارع ، وهو يقول :

ـ أعتقد أنه مكان مناسب لمراقبة المكان .

ربَّت المقدّم (عمرو) على كتفه ، قائلاً :

ـ هيا .. اذهب لمقابلتك ، وسأراقب أنا الطريق جيِّدًا .

غادر (أدهم) السيارة ، وهو يقول :

ـ ضع موجة الاتصال اللاسلكى (س ـ ٤) .. وسأحاول عدم الاتصال ، إلا فى أضيق الحدود .

غمغم المقدّم (عمرو) ، وهو يعتدل لمراقبة الطريق :

ـ هيا .. اذهب .

ثم عاد يسأله فى اهتمام :

ـ ولكن قل لى : كيف ستصل إلى حجرته ؟!

هزّ (أدهم) كتفيه ، وابتسم ، قائلاً :

ـ بالطريق المباشر بالطبع .. سأطرق بابها ، وأطلب منه أن يسمح لى بالدخول .

هتف (عمرو) فى دهشة :

ـ بهذه البساطة ؟!

ابتسم (أدهم) ، وهو يومئ برأسه ، قائلاً :

ـ نعم .. بهذه البساطة .

راقبه المقدّم (عمرو) ، وهو يتجه فى ثقة وهدوء نحو الفندق ، الذى يضمّ الفوج الإسرائيلى ، وغمغم :

ـ ويقولون إنه يحتاج إلى تدريب ؟!

وهزّ رأسه معترضًا ، ثم عاد ينتبه بكل حواسه إلى الفندق ، الذى دلف إليه (أدهم) فى هدوء شديد ، كما لو أنه فى طريقه إلى نزهة ليلية لطيفة ..

وفى نفس اللحظة ، التى عبر فيها بوّابة الفندق ، كانت (جيفيت) تتسلّل من حجرتها بالفندق ، وتسير عبر الممر على أطراف أصابعها ، قبل أن تدق باب إحدى الحجرات فى حذر ..

ومن داخل الحجرة ، أتاها صوت صارم يقول :

ـ من الطارق ؟!

ازدردت لعابها فى توتر ، قبل أن تجيب :

ـ نسمة الليل .

مضت لحظة من الصمت والسكون ، قبل أن ينفتح الباب فجأة ، وتمتدّ منه يد قوية ، جذبتها إلى الداخل فى خشونة ، جعلتها تطلق شهقة مكتومة ، وهى تحدّق فى صاحب اليد القوية ، الذى كادت أصابعه تغوص فى معصمها ، وهو يسألها فى غلظة :

ـ ما الذى أتى بك فى هذه الساعة ؟!

أجابته فى سرعة :

ـ هناك أمر يقلقنى منذ الصباح ، وأردت أن أخبرك به .

تطلّع الرجلِ إلى عينيها بضع لحظات فى صرامة ، قبل أن يقول ، مفلتا معصمها :

ـ ألم يكن بإمكانك الانتظار إلى الغد ؟!

تحسَّست معصمها فى ألم ، وهى تهزّ رأسها فى قوة ، قائلة :

ـ لم أستطع النوم ، قبل أن أبلّغك بالأمر .

مطّ شفتيه فى ضجر ، قبل أن يبتعد عنها ، ويجلس على طرف فراشه ، متسائلاً :

ـ فليكن .. ماذا لديك ؟!

ازدردت لعابها مرة أخرى ، قبل أن تندفع قائلة :

ـ (جاك مورونى) .

سألها :

ـ ماذا عنه ؟!

هتفت :

ـ لم يكن عاديًا أبدًا اليوم .

سألها فى ضجر أكثر :

ـ لماذا ؟!

هتفت :

ـ كان مرحًا للغاية ، ثم فجأة أصابه اكتئاب مبهم ، وتوتر لا تفسير له .. ثم .. ثم ..

لم تجد ما تضيفه ، فسألها الرجل فى حدة :

ـ ثم ماذا ؟!

بحثت فى عقلها عما تقوله ، ثم لم تلبث أن اندفعت ، هاتفة :

ـ ثم إنه قد سقط من مترو الأنفاق .

استند الرجل بمرفقه على فراشه ، وتثاءب ، قائلاً :

ـ لقد شاهدت ما حدث ، وبدا لى طبيعيًا للغاية .. ثم إنه قد لحق بنا فى المحطة التالية .

لوَّحت بيدها ، هاتفة :

ـ ولكن ذلك الشاب الذى أسقطه .

تنهَّد ، متسائلاً :

ـ ماذا عنه ؟!

انعقد حاجباها ، وهى تجيب :

ـ عندما سقطا معًا من المترو ، تساءلت أين رأيته من قبل ، ثم تذكَّرت فجأة أنه الشاب نفسه ، الذى احتكَّ به عند برج (إيفل) ، قبل أن يفقد مرحه ، ويصاب بذلك التوتر ، الذى لم يفارقه قط ، حتى عدنا إلى الفندق فى المساء .

التقى حاجبا رجل (الموساد) بضع لحظات ، وهو يدير الأمر فى رأسه ، قبل أن يعتدل فى اهتمام ، قائلاً :

ـ أأنت واثقة من أنه نفس الشاب فى المرتين ؟!

أجابت فى سرعة وحزم :

ـ تمام الثقة .

نهض يسألها ، فى اهتمام أكثر :

ـ وهل تحدَّث إليه ، عند برج (إيفل) ؟!

ارتبكت ، وهى تقول :

ـ لم .. لم أنتبه إلى هذا ؟!

تطلَّع إليها فى صرامة ، قائلاً :

ـ ينبغى أن تدركى أنك تثيرين الشكوك حول زميل لك ، يؤكِّد ملف التحريات عنه أنه نظيف تمامًا .

ارتبكت أكثر ، وهى تقول :

ـ ربما لايعنى هذا شيئًا ، ولكنكم قلتم : إنه من الضرورى أن يبلغكم كل منا بأية شكوك تراوده ، إزاء زملائه فى العمل .

اعتدل قائلاً :

ـ هذا صحيح ، ولقد أحسنت الفعل .



منحته ابتسامة مرتبكة ، ثم أسرعت إلى حجرتها ، وقلبها يدق بقوة أكبر ، وكأنما ضبطها ذلك الشيخ ..

ثم دفعها بيده فى خشونة ، وهو يفتح الباب ، مضيفًا :

- هيا .. عودى إلى فراشك ، واتركى الأمر كله لنا .

غمغمت وهى تنصرف فى سرعة :

- بالتأكيد .

غادرت حجرته فى سرعة عبر الممر ، وخفق قلبها فى عنف ، عندما لمحت ذلك الشيخ الأشيب ، الذى يرتدى زى موظفى الفندق ، والذى يدفع أمامه مائدة متحركة ، تحمل دلوًا معدنيًا صغيرًا ، استقرَّت داخله زجاجة من الشمبانيا الفاخرة ، وتوقَّف الرجل فى أدب ، حتى يمنحها أولوية المرور ، وهو ينحنى قائلاً بفرنسية أنيقة :

- سيِّدتى .

منحته ابتسامة مرتبكة ، ثم أسرعت إلى حجرتها ، وقلبها يدق بقوة أكبر ، وكأنما ضبطها ذلك الشيخ ، وهى تشى بزميلها لأحد رجلى المخابرات ، المصاحبين للفوج السياحى ..

ولكنها لم تغلق الباب خلفها ، وإنما واربته قليلاً ؛ لتختلس النظر إلى الشيخ ، الذى واصل دفع المائدة أمامه ،

وهى تتساءل : عمن يتناول تلك الشمبانيا الفاخرة ، فى ساعة متأخرة كهذه من الليل ..

وارتفع حاجباها بدهشة بالغة ، عندما توقَّف الشيخ عند حجرة (مورونى) ، وطرق بابها فى هدوء ، قبل أن يدفعه ، ويدفع المائدة أمامه إلى داخل الحجرة ..

وفى بطء ، أغلقت (جيفيت) باب حجرتها ، وهى تتساءل فى حيرة : منذ متى يتناول (مورونى) الشمبانيا الفاخرة ؟!

ومن أعمق أعماقها ، عادت نبرة الشك تتصاعد ..

نبرة أشعلتها غريزة أنثى ، وفضول امرأة ..

أما ذلك الشيخ ، فلم يكد يدخل حجرة (مورونى) ، ويغلق بابها خلفه ، حتى اعتدلت قامته ، وأطلَّت الحيوية من عينيه السوداويين ، وهو يقول :

- أدون (مورونى) .

كانت الحجرة كلها مظلمة ، باستثناء الحمام ، الذى ينبعث الضوء من تحت عتبته ، فاتجه إليه (أدهم) مباشرة ، ودقَّ باب الحمام ، قائلاً ، بتلك اللكنة الروسية :

- أدون (مورونى) .. لقد حضرت فى الموعد بالضبط .

جاوبه صمت مطبق ، جعل الشكَّ يتسلَّل إلى عروقه ، وهو يدق الباب مرة أخرى ، قائلاً :

- أدون (مورونى) .

ولما لم يتلقَّ جوابًا ، فى هذه المرة أيضًا ، التقط من جيبه أداة رفيعة ، عالج بها باب الحمام ، المغلق من الداخل ، حتى استجاب له رتاجه ، فدفعه بكتفه ، وهو يندفع داخله ، و ...

وتوقَّف فى مكانه دفعة واحدة ..

وانعقد حاجباه فى شدة ..

فلقد أفسد (جاك مورونى) العملية كلها بحركة حمقاء ..

أفسدها تمامًا ..

★ ★ ★

من أكثر الصفات ، التى يكتسبها رجل المخابرات ، بحكم عمله وخبرته ، صفة الصبر ..

ففى عالم المخابرات ، لا يمكن أن تتطوَّر كل الأمور فى سرعة ..

بل على العكس ، فمعظم عمليات المخابرات طويلة المدى ، وتحتاج إلى سنوات وسنوات ، قبل أن تؤتى ثمارها المنشودة ..

ومن الطبيعى أن يتابع رجل المخابرات عمليته ، طوال كل هذه السنوات ..

وبنفس الاهتمام والانتباه ..

ولهذا ظلَّ المقدَّم (عمرو) صامتًا ساكنًا فى مكانه داخل السيارة ، المتوقِّفة عند أوَّل الشارع ، يراقب مبنى الفندق فى اهتمام بالغ ، دون أن يرفع عينيه عنه لحظة واحدة ..

وفى أعماقه ، كان كل توتره يتساءل عما يواجهه (أدهم) الآن ، فى حجرة (جاك مورونى) ..

كيف واجه الرجل ؟!

كيف طرح عليه الأمر ؟!

وكيف نفذ خطة السيطرة ؟!

والتجنيد ؟!

كيف ؟!

كيف ؟!

أدار الأمر فى رأسه مرات ومرات ، وهو يواصل المراقبة ..

ويواصل ..

ويواصل ..

ثم فجأة ، وعلى الرغم من قوة انتباهه ، ومن حاسته السادسة ، التى نمت مع خبرته ، وطول مواجهته للخطر ، شعر بحركة خلف السيارة ، ثم سمع صوت الباب الخلفى يُفتح ، فاستلَّ مسدسه من غمده ، وهو يستدير إليه فى حركة حادة ، و ...

« (أدهم) ؟! »

نطقها فى دهشة ، عندما شاهد (أدهم) ، عند المقعد الخلفى ، فغمغم هذا الأخير ، فى شىء من الصرامة :

ـ نعم .. هو أنا يا سيِّد (عمرو) .

سأله (عمرو) فى دهشة وتوتر ، وهو يعيد مسدسه إلى غمده :

ـ ماذا حدث ؟! لماذا عدت بهذه السرعة ؟!

أجابه (أدهم) فى حزم :

ـ لم يكن هناك مبررٌ للبقاء .

سأله فى قلق :

ـ لماذا ؟! هل رفض (مورونى) التعاون ؟!

هزَّ (أدهم) رأسه نفيًا ، وقال :

ـ لم يكن فى حالة تسمح له بالقبول أو الرفض .

بدا المقدِّم (عمرو) أكثر قلقًا ، وهو يسأله :

ـ ماذا حدث بالضبط ؟!

أجابه (أدهم) :

ـ حدث أننا قد وضعنا (جاك مورونى) تحت ضغط عصبى يفوق احتماله ، وأمام خيارين عنيفين للغاية ، فإما أن يخون دولته ، أو ينكشف أمره ، وينتهى مستقبله كله .. ولأنه لم يحتمل أيًا من الفكرتين ، فقد قرَّر الهروب منهما معًا .

ردَّد (عمرو) فى عصبية :

ـ الهروب ؟!

أومأ (أدهم) برأسه إيجابًا ، وقال فى حزم :

ـ لقد أحضرته معى .

هتف المقدِّم (عمرو) ، بكل دهشة الدنيا :

ـ أحضرته ؟!

جذب (أدهم) جسد (مورونى) ، من قاع السيارة ، فحدَّق فيه المقدِّم (عمرو) فى ذهول ، وانتفض قلبه بين ضلوعه فى عنف ..

لقد أفسد (مورونى) العملية بالفعل ..

أفسدها على نحو لا يمكن تصوره ..

أبدًا ..

★ ★ ★

التفّ نواب مدير المخابرات المصرية ، مع كل الضباط المتابعين لعملية (ديمونة) ، حول منضدة الاجتماعات ، فى انتظار وصول المدير ، وكل منهم يتساءل فى أعماقه عن سر هذا الاجتماع الطارئ ..

ثم وصل المدير ..

وقبل حتى أن يحتلّ موقعه ، أشار بيده ، قائلاً :

ـ يبدو أننا نواجه خللاً رهيبًا فى عملية (ديمونة) أيها السادة .

هوت عبارته عليهم كالصاعقة ، فتبادلوا نظرة شديدة التوتر ، قبل أن يسأل أحدهم فى قلق شديد :

ـ ماذا حدث بالضبط يا سيّدى ؟!

وضع المدير أمامه تقرير الدكتور (وحيد) ، وهو يقول :

ـ لم يحدث أى شىء حتى الآن ، من الناحية الفعلية ، ووفقًا لآخر تقرير وصلنا من (باريس) ، ولكن المشكلة أننا قد اضطررنا للتحرُّك فى سرعة ، لوجود الهدف خارج (إسرائيل) ، مما جعلنا نبدأ العملية فعليًّا ، قبل أن ينتهى الخبراء من الدراسة النفسية للهدف ، لذا فقد فوجئنا جميعًا بخبراء علم النفس يحذروننا من الاتصال بالهدف الوحيد القابل للسيطرة ، بين كل العاملين فى مفاعل (ديمونة) .

سأله أحد الرجال فى اهتمام :

ـ وما الذى يخشاه خبراء علم النفس بالضبط ؟!

أجابهم ، وهو يلوِّح بالتقرير :

ـ رد فعل عنيف من الهدف ، الذى لن يحتمل الضغوط النفسية والعصبية من الجانبين .

سأل أحد الرجال فى لهفة :

ـ مثل ماذا ؟!

قبل أن تنفرج شفتا المدير عن الجواب ، دلف مدير مكتبه إلى المكان ، وهو يقول فى لهفة :

ـ تقرير عاجل من (باريس) يا سيادة المدير .

استدارت العيون كلها إليه ، والمدير يهتف به :

ـ إلىّ به فورًا .

التقط التقرير فى لهفة ، وراح يطالعه فى سرعة ، والكل يتطلّع إليه فى شغف قلق ، حتى هتف فى غضب :

ـ فعلها (جاك مورونى) .

سأله أحد الرجال فى توتر :

- فعل ماذا ؟!

دق المدير سطح مكتبه بقبضته ، مجيبًا فى حدة :

- انتحر .

وهوت الكلمة على الكل كالقنبلة .

فانتحار (جاك مورونى) كان يهدم العملية كلها ..

ومن الأساس .

★ ★ ★

٤ـ البديـل ..

حدّق المقدّم (عمرو) فى جثة (جاك مورونى) طويلاً ، وهى ملقاة فى ذلك المنزل الآمن ، فى قلب (باريس) ، قبل أن يرفع عينيه إلى (أدهم) ، قائلاً فى حدة :

- هل لى أن أفهم لماذا أحضرته إلى هنا ؟!

أجابه (أدهم) فى هدوء ، لا يتفق قط مع الموقف .

- كان هذا هو أفضل ما يمكن عمله .

صاح به المقدّم (عمرو) فى غضب :

- هل جننت ؟!

بدا (أدهم) حازمًا إلى حد عجيب ، وهو يقول :

- بل أعتقد أننى قد أقدمت على التصرُّف الوحيد العاقل .

هتف به المقدّم (عمرو) فى غضب :

- كيف تجرؤ أيها الملازم ؟!

قال (أدهم) بنفس الحزم :

ـ لقد فوجئت بما فعله .. ومن الواضح أننا قد استخدمنا معه أسلوبًا يعجز عن احتماله ، مما دفعه إلى انهيار عصبى ، انتهى بالانتحار ، باعتباره الأسلوب الوحيد ، للفرار من صعوبة واستحالة الموقف ، وعندما رأيته صريعًا ، داخل حوض الاستحمام ، أدركت أننا قد فقدنا الوسيلة الوحيدة المتاحة ، لدخول مفاعل (ديمونة) ، والحصول على كل المعلومات الممكنة ، عن تلك القنابل النووية المحدودة ، وكلانا يعلم أن مؤتمر القمة العربى سيُعقد فى نهاية هذا الشهر ، ومن المحتم أن تكون لدينا تلك المعلومات قبيل انعقاده ، وإلا فالقلق من وجود مثل تلك القنابل ، سيكبِّل معظم قراراته بالتأكيد .

هتف المقدّم (عمرو) :

ـ وهل إحضار جثة (مورونى) هنا سيفيد العملية ، بعد أن انتحر هو بالفعل ؟

أجاب (أدهم) فى سرعة :

ـ نحن وحدنا نعلم بانتحاره ، أما هم ، فلن يمكنهم كشف هذا ، قبل السابعة من صباح الغد ، وهذا يمنحنا أربع ساعات ونصف الساعة ، لإعداد البديل .

هتف المقدّم (عمرو) بكل الحدة :

ـ البديل ؟! أى بديل ؟! ألا تدرك كم تم بذله من جهد ، لاختيار (جاك مورونى) هذا ، من بين عشرات العاملين فى مفاعل (ديمونة) ؟! هل تتصوَّر أن أربع ساعات ونصف تكفى لاختيار بديل له .

اعتدل (أدهم) فى حزم ، وهو يقول :

ـ لم أقل : اختيار البديل يا سيِّدى .. قلت : إعداد البديل .

هتف به المقدّم (عمرو) ، وهو يلوِّح بيده فى غضب :

ـ وما الفارق ؟!

أجابه (أدهم) ، بكل حزم الدنيا :

ـ الفارق ضخم للغاية يا سيِّدى .

هتف المقدّم (عمرو) :

ـ وكيف أيها العبقرى ؟!

صمت (أدهم) لحظة ، قبل أن يقول فى حزم :

ـ امنحنى ساعة واحدة ، لأثبت ما أريد قوله يا سيِّدى .

لوَّح المقدَّم (عمرو) بيده ، قائلاً فى حدة :

ـ ولماذا لا تخبرنى ما لديك مباشرة ؟!

هزَّ (أدهم) رأسه نفيًا فى حزم ، وقال :

ـ ما لدىَّ لن يقنعك لو سمعته يا سيادة المقدَّم .

ثم شدَّ قامته ، مضيفًا فى قوة :

ـ لابد أن تراه .

أسلوبه ولهجته جعلا المقدَّم (عمرو) يتطلَّع إليه فى دهشة حائرة ، متسائلاً عما يدور فى رأسه ، إلا أنه ، وأمام حتميات الموقف ، لم يملك إلا أن يقول فى توتر :

ـ فليكن .. ماذا لدينا لنخسره ؟!

ثم عاد يلوِّح بذراعه ، مضيفًا فى حدة :

ـ هيا .. خذ ما تشاء من وقت .

وترك (أدهم) يتجه نحو حجرته ، فى المنزل الآمن ، فى حين ألقى هو جسده على أقرب مقعد إليه ، وهو يشعر وكأنه كان يعدو ، من (لندن) إلى (باريس) ، وغمغم فى حنق ساخط :

ـ نعم .. ماذا تبقى لدينا لنخسره ؟!

وأغلق عينيه فى قوة ، وكأنما يحاول أن ينسى ما فعله (جاك مورونى) ..

وأن ينسى الكارثة ، التى أصابت العملية وطعنتها بمنتهى القسوة ..

فى الصميم ..

* * *

قلب مدير المخابرات المصرية كفيه فى أسف ، وأطلق من أعماق أعماق صدره زفرة ملتهبة ، وهو يقول :

ـ إذن فلا يوجد حل ، للخروج من هذه الأزمة !

تبادل الخبراء والمعاونون نظرة آسفة ، قبل أن يغمغم أحدهم فى أسف :

ـ كلاَّ فى الواقع يا سيِّدى .. لقد قضينا وقتًا طويلاً لدراسة ملفات كل العاملين فى المفاعل الإسرائيلى ، ولم ننتخب سوى (جاك مورونى) هذا ، وبسبب صلاته السابقة بالمخابرات السوفيتية ، ولقد كانت هذه هى الثغرة الوحيدة ، فى الجدار الفولاذى ، الذى أقامه الإسرائيليون

حول مفاعلهم الذى يعتبرونه أكبر نقطة تفوّق لصالحهم ، فى الميزان العربى الإسرائيلى ، وبانتحاره لا توجد أية ثغرة أخرى .. على الأقل فى الوقت الحالى .. ربما فى المستقبل قد ..

قاطعه مدير المخابرات فى توتر :

ـ المستقبل أمر آخر يا رجل .. سنواصل البحث بالتأكيد عن ثغرة أخرى ، فى نطاق الأمن الإسرائيلى ، حول مفاعل (ديمونة) ، ولكننا ـ فى الوقت الحالى ـ أمام مهمة عاجلة للغاية ، أسندها إلينا السيِّد رئيس الجمهورية شخصيًا ، ألا وهى الحصول على معلومات مؤكَّدة ، حول ما أشاعه الإسرائيليون ، عن إنتاجهم لتلك القنابل النووية المحدودة ، قبيل انعقاد مؤتمر القمة العربى ، حتى لا يتأثَّر الملوك والقادة العرب باحتمال وجودها ، فى أثناء إصدارهم قراراتهم فى المؤتمر ، وفشلنا فى تحقيق هذا فى موعده ، لا يعنى فشل المخابرات المصرية وحدها ، وإنما يعنى أيضًا فشل (مصر) ، فى حماية الصف العربى ، والذود عنه ضد العدوان الإسرائيلى ، كواجبها دومًا ..

غمغم أحد الرجال فى أسف :

ـ وماذا بيدنا لنفعله ؟!

زفر مدير المخابرات مرة أخرى ، قبل أن يقول :

ـ لابد أن نبذل جهدًا أكبر أيها السادة .. لابد أن نعيد دراسة ملفات وأحوال كل العاملين بالمفاعل الإسرائيلى ، الذين يضمّهم ذلك الفوج السياحى فى (باريس) .. وفى أسرع وقت ممكن ، قبل أن يعودوا إلى (تل أبيب) ، بعد ثلاثة أيام .. سنعمل طوال الوقت ، ولن نذوق النوم لحظة واحدة ، حتى نجد وسيلة ما ، وإلا ..

وصمت لحظة ، قبل أن يتنهَّد ، ويغمغم فى مرارة :

ـ وإلا فسنرسل برقية إلى السيِّد (عمرو) فى (باريس) ، ونبلغه أن العملية قد انتهت .

وخفض عينيه ، مضيفًا :

ـ للأسف .

ران على الحجرة صمت مهيب ، بعد أن نطق المدير كلمته الأخيرة ، وخيّم الوجوم على وجوه الجميع ، وسط ذلك الصمت الثقيل ، الذى قطعه أحدهم ، وهو يتمتم :

ـ ولكن تسرعنا فى البحث عن بديل قد يؤدى إلى مشكلة أخرى .

رفع المدير عينيه إليه ، متسائلاً :

ـ أية مشكلة ؟!

هزَّ الرجل كتفيه ، قائلاً فى تردُّد :

ـ أن ينكشف الأمر مثلاً .

ابتسم مدير المخابرات فى مرارة ، قائلاً :

ـ وما الذى سنخسره عندئذ ؟!

ولم ينطق أحدهم بحرف واحد ..

فقد كان المدير على حق تمامًا ..

ما الذى يمكن أن يخسروه أكثر من هذا ؟!

وماذا يمكن أن يحدث ، أكثر مما حدث ؟!

ماذا ؟!

* * *

منذ غادرت (جيفيت) حجرة رجل الموساد الإسرائيلى (كاهان) ، لم يغمض لهذا الأخير جفن لحظة واحدة ..

لقد التقط من حقيبته ، التى يحملها بنفسه طوال الوقت ، جهازًا صغيرًا ، فرده فوق المائدة الرخامية فى حجرته ،

ثم دسَّ فيه ميكروفيلم صغيرًا ، يحوى كل بيانات ملف (جاك موروني) السرى ، وراح يراجعه بمنتهى الدقة والاهتمام ..

ولكن الملف كان نظيفًا تمامًا ..

كل سطر فيه كان يؤكِّد أن (جاك موروني) مهاجر مثالى ، وموظف نشيط كفء ، فى مفاعل (ديمونة) ، منذ التحق بالعمل فيه ، ومنذ حتى عمله فى هيئة الطاقة الذرية ..

كل تقارير المراقبة كانت إيجابية ..

الرجل ليس له أى نشاط مريب ..

بل ولا حتى أى نشاط ، خارج نطاق العمل ..

فهو عزب ، بلا أية هوايات تقريبًا ، وليست له علاقات نسائية ، باستثناء علاقة عابرة مع زميلته فى العمل (جيفيت) ، التى أبلغت بشكوكها حوله ، مما يخرجها من دائرة الشكوك أيضًا ..

وهذا يعنى أنه من المستحيل الشك فى أمر (جاك موروني) ..

من المستحيل تمامًا !

إلا إذا ..

وثب الخاطر إلى ذهنه بغتة ، فانعقد حاجباه فى شدة ، وراح يدرس هذا الاحتمال المخيف ، ويقارنه بتاريخ (مورونى) ، وجنسيته ، ووطنه الأم ، قبل أن يغمغم فى صرامة :

ـ ولِمَ لا ؟!

قالها ، ونهض فورًا إلى الهاتف فى حجرته ، وأدار قرصه برقم دولى ، وانتظر لحظة ، قبل أن يسمع صوت محدِّثه فى (تل أبيب) ، فقال فى حزم :

ـ أنا (كاهان) .. (م ـ ٦٠٧) .. نعم .. أتحدَّث من (باريس) .. اسمعنى جيِّدًا .. أريد بدء تحريات جديدة عن (جاك مورونى) .. نعم .. (مورونى) .. إنه أحد العاملين فى (ديمونة) .. نعم .. أعلم أنه أحد المصنفين فى القائمة (ا) ، ولكننى أريد تحريات عن الفترة القديمة ، أيام وجوده فى (بولندا) ، قبيل هجرته إلى (إسرائيل) .. أريد هذه التحريات على مكتبى فى (تل أبيب) ، فى أسرع وقت ممكن .

أنهى المحادثة ، وعيناه تبرقان على نحو عجيب ، وهو يتمتم :

ـ بهذا فقط يمكننا تبرئة ساحتك يا سيِّد (مورونى) ، أو ..

انعقد حاجباه ، وعيناه تزدادان بريقًا ، وهو يضيف :

ـ أو نظفر بعنقك .

نطقها بأسلوب رجل (موساد) عملى ، لا يعرف العبث .. أو الرحمة ..

* * *

نهض المقدِّم (عمرو) من مقعده فى توتر ، وراح يدور فى الحجرة بمنتهى العصبية ، وهو يفرك كفيه ، ويتساءل عما يصنعه (أدهم) ، منذ ما يقرب من الساعة ، داخل حجرته ، فى المنزل الآمن ..

كان يسرى فى عروقه توتر غير محدود ، كلما تطلَّع إلى جثة (مورونى) ، التى تتوسَّط صالة المنزل ، على نحو يؤكِّد فى كل لحظة ، أن العملية قد فشلت من أساسها ..

لذا ، فقد هتف للمرة العاشرة فى حنق :

ـ ما الذى يفعله هذا الملازم بالضبط ؟!

فرك كفيه مرة أخرى فى عصبية ، وتطلَّع إلى جثة (مورونى) ، قائلاً فى حدة :

ـ أكان من الضرورى أن تفعل هذا ؟!

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى سمع من خلفه صوت (مورونى) يقول :

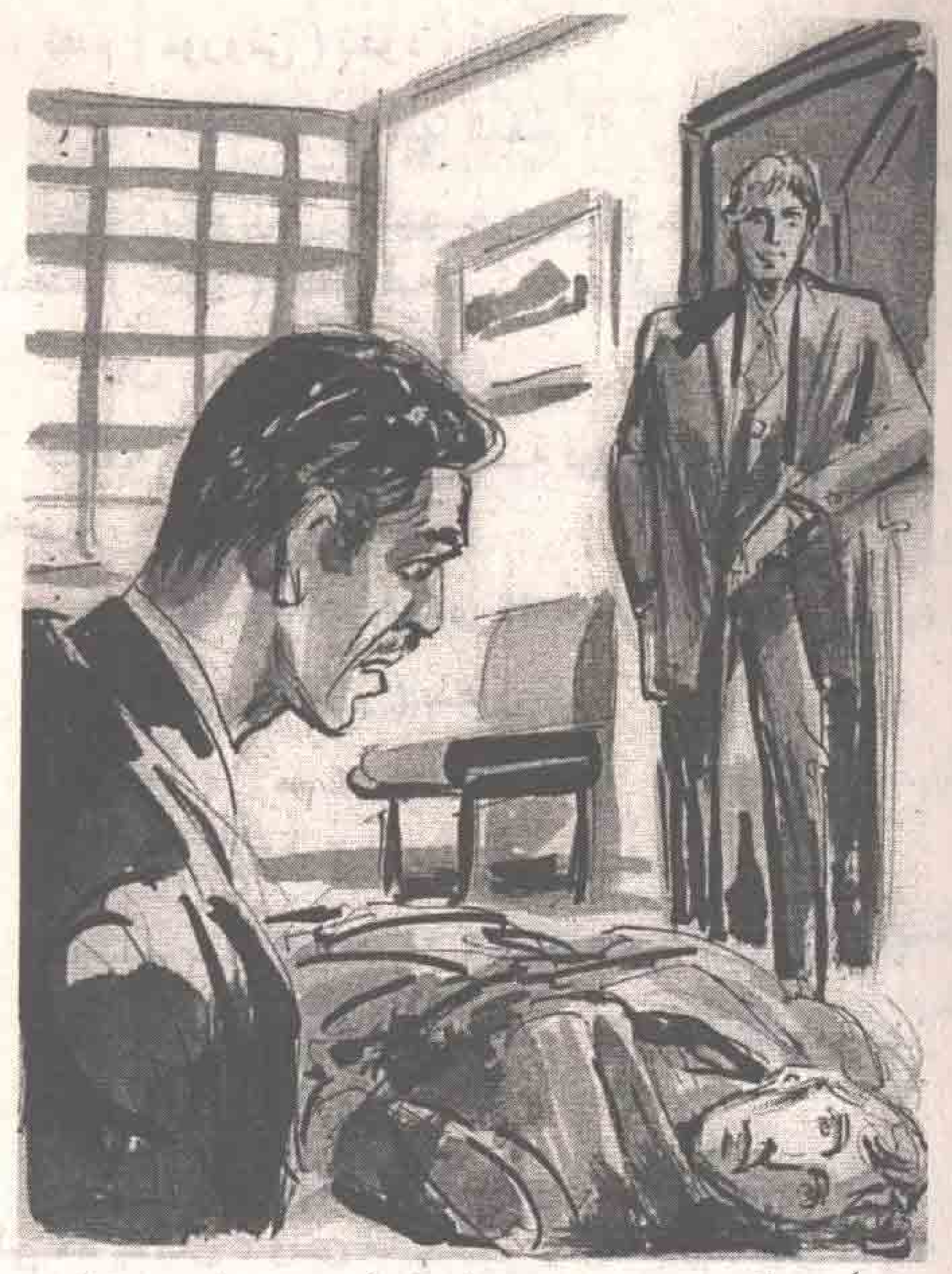
ـ أنتم أجبرتمونى على هذا .

وعلى الرغم من قوته وصلابته ، كضابط مخابرات محنك ، قفز (عمرو) من مكانه ، مع سماعه الصوت ، ودار حول نفسه بسرعة مدهشة ، ليواجه مصدره ، قبل أن يرتدّ فى عنف كالمصعوق ، ويحدِّق فى ذهول فى (مورونى) الذى وقف أمامه هادئًا حازمًا ، يضيف :

ـ إننى لن أخون (إسرائيل) أبدًا .

حدَّق المقدِّم (عمرو) فيه بذهول ، ثم أدار عينيه فى سرعة إلى الجثة ، التى ما زالت راقدة فى وسط الصالة ، قبل أن يعيدها إلى الواقف أمامه ، ويهتف فى ذهول مستنكر :

ـ مستحيل !



حدَّق المقدِّم (عمرو) فيه بذهول ، ثم أدار عينيه فى سرعة إلى الجثة ، التى مازالت راقدة فى وسط الصالة ..

تقدَّم (مورونى) نحوه ، قائلاً :

ـ هل تدهشك رؤيتى أيها المقدَّم ؟!

نطقها بالعربية ، وبلهجة مصرية خالصة ، جعلت المقدَّم (عمرو) يحدِّق فيه مرة أخرى فى ذهول ، هاتفًا :

ـ ولكن .. ولكنك ..

قاطعه الواقف أمامه بضحكة قوية ، قبل أن يقول بصوته الحقيقى :

ـ هل اقتنعت الآن يا سيِّدى ؟!

صاح المقدَّم (عمرو) بذهول أكثر :

ـ (أدهم) .. مستحيل !

ابتسم (أدهم) ، قائلاً :

ـ هذا ما كنت أقصده بفكرة إعداد البديل أيها المقدَّم .

حدَّق المقدَّم (عمرو) فيه مرة أخرى ، قبل أن يهز رأسه فى قوة ، قائلاً :

ـ ولكن هذا مستحيل ! لقد أخبرونى أنك تجيد التنكُّر إلى حد مدهش ، ولكن ما تفعله ليس مجرَّد تنكر .. إنه تقمص كامل .. لقد أصبحت نسخة طبق الأصل منه .

هزَّ (أدهم) رأسه ، قائلاً :

ـ ليس تمامًا يا سيادة المقدَّم .. لقد استخدمت بعض المساحيق ومواد التنكر البسيطة ، التى يمكن لمحترف كشف أمرها ، كما أنها قد تذوب مع المطر ، أو العرق ، أو ارتفاع نسبة الرطوبة .

ثم أشار إلى جثة (مورونى) ، مضيفًا :

ـ ولكن بوجود الجثة بين أيدينا ، يمكننى صنع قناع متقن ، يساعدنى على انتحال شخصيته ، ودخول مفاعل (ديمونة) باسمه ، وبأوراقه غير القابلة للتزوير .

هزَّ المقدَّم (عمرو) رأسه ، وكأنما لا يصدِّق ما يراه ، قبل أن يقول فى توتر وعصبية :

ـ أنا واثق من أنك تستطيع خداعهم بهيئته وصوته ، فأنت مذهل فى تقمص شخصيته ، على الرغم من أنك أكثر طولاً ، وأكثر قوة .

قال (أدهم) :

ـ الذكاء فى اختيار الثياب ، يمكن أن يخفى هذا .

أشار المقدَّم (عمرو) بيده ، قائلاً :

ـ وماذا عن بصماته ؟! إنك لن تنجح فى دخول المفاعل ، إلا بعد فحص بصماتك ، ومقارنتها بسجل بصمات (مورونى) .

التقى حاجبا (أدهم) فى صرامة ، وهو يقول :

ـ لقد أعددت خطة لهذا .

هتف المقدِّم (عمرو) مستنكرًا :

ـ أعددت ماذا ؟!

أمسك (أدهم) كتفيه فجأة ، وتطلع إلى عينيه مباشرة ، وهو يقول فى حزم صارم :

ـ اسمعنى يا سيادة المقدِّم .. أعلم جيِّدًا أن فارق الرتب بيننا يحتم علىَّ ، من الناحية الرسمية ، أن أستمع إلى أوامرك ، وأطيعها دون مناقشة ، ولكننا الآن أمام موقف بالغ الحساسية والخطورة ، ووقت قصير إلى حد لا تصلح معه الحدة أو المكابرة .. لقد وضعت خطتى مدركًا إمكاناتى الشخصية ، وما يمكننى القيام به ؛ لإنقاذ العملية ، والانتصار فيها ، والحصول على تلك المعلومات المطلوبة ، حول إنتاج تلك القنابل النووية المحدودة المزعومة .. وكل ما أطلبه منك الآن هو التفهُّم والثقة .. كل الثقة ..

شىء ما فى كلماته ، أو ربما فى نظراته ، أزال كل توتر المقدِّم (عمرو) وحدته ، وجعله يقول فى خفوت :

ـ فيم تفكِّر ؟!

أشار (أدهم) إلى جثة (مورونى) ، قائلاً :

ـ أوَّلاً ، يجب أن نجد مكانًا نحفظ فيه هذه الجثة .. ثلاجة لحوم كبيرة ، أو حتى حوض استحمام مملوء بالثلج .

سأله المقدِّم (عمرو) فى اهتمام :

ـ ثم ماذا ؟!

عاد (أدهم) يتطلَّع إلى عينيه مباشرة ، وهو يجيب :

ـ ثم ستعود إلى (القاهرة) ، على متن أوَّل طائرة تغادر (باريس) .

هتف المقدِّم (عمرو) فى دهشة مستنكرة :

ـ أعود إلى (القاهرة) ؟!

أومأ (أدهم) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ نعم يا سيادة المقدِّم ، فـ (جاك مورونى) لابد أن يظهر وسط الفوج السياحى الإسرائيلى ، فى السابعة والنصف

صباحًا ، ولابد أن يضع بصماته على جهاز الفحص الأمنى ، فى مفاعل (ديمونة) ، بعد ثلاثة أيام من الآن .

تطلّع إليه المقدّم (عمرو) بضع لحظات فى حيرة ، ثم لم يلبث أن هتف :

ـ آه .. فهمت .

ثم عاد يسأل فى اهتمام بالغ :

ـ ولكن ماذا عن باقى الخطة ؟!

هزّ (أدهم) رأسه ، قائلاً :

ـ إنها خطة معقّدة إلى حد ما ، وتحتاج إلى شرح طويل ، لذا فسأخبرك بها ، وأنا أصنع قالبًا لوجه (مورونى) .

هتف المقدّم (عمرو) فى حماس :

ـ كلى آذان مصغية .

بدأ (أدهم) عمله ، وهو يشرح له خطته ..

وكانت خطة مجنونة تمامًا ..

ولكنها مدهشة بحق ..

مدهشة إلى أقصى حد ..

★ ★ ★

ارتفع حاجبا مدير المخابرات المصرية حتى أقصاهما ، وهو يطالع البرقية الشفرية ، التى وصلت على الفور من (باريس) ، والتى يشرح فيها المقدّم (عمرو) تفاصيل خطة (أدهم) المدهشة ..

ولثوان ، بعد أن خفض البرقية أمامه ، ظلّ المدير صامتًا ، يدير عينيه فى وجوه الحاضرين ، حتى سأله أحدهم :

ـ أهو تطوّر جديد يا سيّدى ؟!

أومأ المدير برأسه إيجابًا ، وهو يقول :

ـ تطوّر خطير .

وطوال نصف الساعة التالية ، راح يشرح لهم خطة (أدهم) ..

وبمعظم تفاصيلها ..

واتسعت العيون عن آخرها فى دهشة ..

بل فى ذهول تام ..

فالخطة لم تكن مجنونة فحسب ، وإنما كانت ـ من الناحية العملية ـ مستحيلة تمامًا !

مستحيلة على نحو لا يمكن استيعابه ، أو تصديقه ..

أو حتى تصوّره ..

ولقد انتهى المدير من حديثه ، ثم تراجع فى مقعده ، وأشار بيده ، قائلاً :

ـ ما رأيكم ؟!

جاوبه صمتهم التام لبعض الوقت ، وهم يتطلعون إليه فى حيرة وانبهار ، قبل أن يسأل أحدهم فى توتر :

ـ ولكن هذه الخطة غير قابلة للتطبيق يا سيادة المدير .

أجابه المدير فى حزم :

ـ ربما ليس إذا أسندت إلى شخص عادى .. أما (أدهم) ..

قاطعه أحدهم ، دون أن ينتبه إلى مجافاة هذا للياقة ، وهو يهتف :

ـ الملازم أوّل (أدهم) ضابط حديث العهد بالمخابرات العامة ، وخبرته لا تكفى للقيام بعمل جنونى كهذا .

ابتسم المدير ، قائلاً :

ـ ربما كان (أدهم) حديث الالتحاق بالمخابرات العامة ، من الناحية الرسمية ، ولكن ليس من الناحية الفعلية ،

فوالده رحمه الله صنع منه حالة فريدة ، فى عالمنا هذا ، عندما بدأ معه تدريبات خاصة جدًا ، وهو بعد فى الثالثة من عمره(*) ..

هتف آخر :

ـ ولكن الخطة خطيرة للغاية ، وتحتاج منه إلى دخول (إسرائيل) ، والوصول إلى مفاعل (ديمونة) نفسه ، وحتى لو نجح فى تحقيق هذا ، فخروجه أيضًا ليس بالأمر السهل .

قال المدير فى حزم :

ـ واجبنا أن نعمل جميعًا على جعل هذا ممكنًا .

قال ثالث فى توتر :

ـ وماذا لو انكشف أمره ؟!

مطّ المدير شفتيه ، قائلاً :

ـ أعتقد أنه يدرك هذا الاحتمال جيّدًا .

ثم صمت لحظة ، قبل أن يضيف فى حزم :

(*) راجع سلسلة (رجل المستحيل) .. المغامرة رقم ٦١ .. (ملائكة الجحيم) ..

- ولا يبالى به .

قال (أحدهم) فى دهشة :

- ولكنهم سيقتلونه حتمًا ، لو انكشف أمره .

مال المدير على مائدة الاجتماعات ، وهو يقول بحزم أكبر :

- اعلموا أيها السادة أننى أعرف الملازم أوّل (أدهم) ، منذ كنت صديقًا لوالده (رحمه اللّه) أيام بدايات إنشاء جهاز المخابرات العامة ، وأدرك جيّدًا أنه شاب باسل ، يعمل دومًا تحت علم (مصر) ، ومستعد لبذل حياته من أجلها فى أية لحظة ، دون ذرة واحدة من التردُّد .

تبادل الرجال نظرة مفعمة بالتوتر ، ثم قال أحدهم :

- ما زلنا نرى أن الخطة جريئة وخطيرة للغاية .

رفع المدير سبَّابته ، قائلاً :

- ولكنها أملنا الوحيد والأخير أيها السادة .

وعاد يدير عينيه فى وجوههم ، قبل أن يضيف فى حزم :

- ما قراركم ؟!

ران عليهم الصمت بضع لحظات ، وكلهم يتطلعون إلى بعضهم ، قبل أن تبدأ مناقشة أخرى للأمر ..

فالقرار لم يكن سهلاً أبدًا ..

والمهمة لم تكن بسيطة على الإطلاق ..

وبالنسبة للكل ، كان من الجنون أن يفكِّر شاب مثل (أدهم) مجرَّد التفكير ، فى عملية انتحارية كهذه ..

بل ومن الجنون أن يقدم على ما فعله ، عندما انتحل شخصية الإسرائيلى (جاك مورونى) ..

ولأنهم لم يروا (أدهم) ، فى هيئة (مورونى) ، فقد كان من العسير ، والعسير جدًا أن يدركوا مدى نجاحه فى هذا ..

لذا فقد طالت المناقشة ..

وطالت ..

وطالت ..

طالت حتى الخامسة صباحًا ، بتوقيت (القاهرة) .

ولكن فى النهاية ، ولأنه لا يوجد بديل آخر ، فقد تمت الموافقة على تنفيذها بالإجماع ..

وعندما وقَّع الحاضرون على قرارهم هذا ، وعلى الرغم من موافقتهم النهائية ، فقد بدا لهم أنهم إنما يوقعون قرارًا بالإعدام ..

إعدام (أدهم صبرى) الشاب ..

وبلا رحمة .

* * *

٥ ـ اختبار ..

« إننى أذكر هذه العملية جيِّدًا .. »

هتف (قدرى) بالعبارة فى حماسة ، وهو يلوِّح بقبضته ، متابعًا :

ـ كنت حديث العهد بالمخابرات العامة إلى حد ما ، ولكنهم كانوا يسندون إلىَّ كل شىء ، يتصوَّرون أنه معقَّد وعسير التنفيذ .

ابتسم النائب الأوَّل لمدير المخابرات ، وهو يتراجع فى مقعده ، قائلاً :

ـ وكنت تقوم به خير قيام .

هتف (قدرى) فى انبهار :

ـ حقًّا ؟!

اتسعت ابتسامة النائب ، وهو يقول :

ـ بالتأكيد .. وما فعلته فى هذه العملية كان دليلاً على براعة مدهشة بحق ، والدليل على هذا واضح جدًّا .

ابتسم (قدرى) فى خجل ، مغمغمًا :

ـ إننى أفعل ما بوسعى .

ثم التقط نفسًا عميقًا ، وتابع ، وهو يشرد ببصره بعيدًا :

ـ ما زلت أذكر ذلك اليوم ، كما لو أنه البارحة ، عندما حضر المقدّم (عمرو) إلى حجرتى ، حاملاً تلك العلبة .

صمت بضع لحظات ، وشفتاه تحملان ابتسامة هائمة ، وهو يسترجع ذكرى تلك الأيام ، قبل أن يلتفت إلى النائب ، متسائلاً فى لهفة :

ـ تُرى هل قدَّم المقدّم (عمرو) ، حينذاك ، تقريرًا بما حدث ؟

ربَّت نائب مدير المخابرات على ملف العملية ، قائلاً :

ـ بالطبع .. كل شىء مدوَّن هنا .

ثم عاد بعينيه مرة أخرى إلى الملف ..

وتابع القراءة ..

★ ★ ★

تنحنح المقدّم (عمرو) فى توتر ، وهو يدلف إلى حجرة (قدرى) الشاب ، فى مبنى المخابرات العامة ، فنهض هذا الأخير لاستقباله فى احترام ، وهو يغمغم :

ـ مرحبًا يا سيّدى .. أخبرونى أنك تحتاج إلى خدماتى ، على نحو عاجل وسريع .

كان ضخم الجثة ، مكتظًّا كما هو الآن ، لذا فقد تطلَّع إليه المقدّم (عمرو) بضع لحظات فى تردُّد ، قبل أن يقول :

ـ الواقع أننى قادم على الفور من (باريس) ، وهذا الأمر ينبغى أن يتمّ فى أسرع وقت ممكن ، حتى يمكننى العودة إليها مساء الغد على أكثر تقدير .

شعر (قدرى) بجسامة المسئولية الملقاة على عاتقه ، وهو يتمتم :

ـ سأبذل قصارى جهدى .

وضع المقدّم (عمرو) العلبة التى يحملها ، على مكتب (قدرى) ، بمنتهى العناية ، وهو يقول :

ـ لقد حملت هذه العلبة ، من (باريس) إلى هنا ، وأنا أحرص عليها كحياتى .

سأله (قدرى) فى اهتمام ، وهو يتطلّع إلى العلبة فى فضول :

ـ وماذا بها ؟!

فتح المقدّم (عمرو) العلبة ، مجيبًا :

ـ هذا .

لم يكد يزيح الغطاء ، حتى انتفض جسد (قدرى) فى قوة ، وتراجع بحركة حادة ، وهو يطلق شهقة مكتومة ..

فللوهلة الأولى ، خُيِّل إليه أن العلبة تحوى كفين مبتورين بعناية ..

إلا أنه لم يلبث أن أدرك حقيقة الأمر ، مع النظرة التالية ..

فما تحويه العلبة كان قالبًا من مادة خاصة جدًا ، مصنوعًا بعناية فائقة ، لكفى شخص ما ..

وبمنتهى الحرص والتوتر ، إلتقط (قدرى) القالب ، وتطلّع إليه فى اهتمام ، قبل أن يقول فى انبهار :

ـ من صنع هذا ؟!

أجابه (عمرو) :

ـ أحد رجالنا .. اسمه (أدهم صبرى) .

مطّ (قدرى) شفتيه ، مغمغمًا :

ـ لم أسمع به من قبل .

أشار المقدّم (عمرو) بيده ، قائلاً :

ـ إنه حديث العهد هنا .

قلّب (قدرى) القالب بين يديه ، هاتفًا :

ـ حديث العهد ؟! إنه محترف .. إننى لم أر قالبًا مصنوعًا بهذه الدقة قط ، منذ خمس سنوات على الأقل .. انظر .. إن بصمات اليد واضحة على نحو مدهش .

قال المقدّم (عمرو) فى حزم :

ـ هذا هو المطلوب بالضبط .

سأله (قدرى) فى اهتمام :

ـ وما المطلوب ؟!

أشار المقدّم (عمرو) إلى القالب ، قائلاً :

ـ نريد قفازًا رقيقًا للغاية ، يمكن أن يرتديه المرء ، دون أن يبدو واضحًا للأعين ، ولكنه يحوى فى الوقت ذاته بصمات صاحب القالب .. هل يمكنك أن تصنع هذا ؟!

تطلَّع (قدرى) إلى القالب بمنتهى الاهتمام ، وصمت بضع لحظات مفكرًا ، قبل أن يقول فى حزم :

ـ بإذن الله .

سأله المقدَّم (عمرو) فى لهفة :

ـ وماذا عن التوقيت ؟!

أجابه (قدرى) فى حزم أكثر :

ـ سأبذل قصارى جهدى .

تنهَّد المقدَّم (عمرو) فى توتر ، مغمغمًا :

ـ عظيم .

قالها ، وترك الحجرة كلها ، حتى لا يضيع لحظة إضافية واحدة ، ولكن (قدرى) لم يشعر حتى بانصرافه ، وهو يتطلَّع إلى القالب مرة أخرى ، متمتمًا :

ـ يا للروعة ! إنه فنان .. فنان حقيقى !

فى نفس اللحظة ، التى نطق فيها عبارته هذه ، كانت (جيفيت) تتطلَّع فى توتر إلى (أدهم) ، المنتحل شخصية (موروني) ، وهم يسيرون فى متحف (اللوفر) متظاهرًا بالانهماك فى تصوير لوحاته النادرة ، قبل أن تتجه نحوه ، وتهمس فى عصبية :

ـ (جاك) .. أعلم لماذا تتجاهلنى على هذا النحو .

انعقد حاجبا (أدهم) ، وهو يسألها بصوت (مورونى) فى حذر :

ـ أتجاهلك ؟! لماذا تقولين هذا يا (جيفيت) ؟!

عضَّت شفتها السفلى ، وهى تقول فى عصبية :

ـ أرأيت ؟! هذه عادتك ، كلما غضبت منى .. تخاطبنى عندئذ باسمى كاملاً ، وليس باسم (جيفى) كما اعتدت تدليلى ، عندما نكون وحدنا .

قال فى حذر :

ـ ربما لأننى شارد الذهن إلى حد ما .

هزَّت رأسها فى قوة ، قائلة :

ـ كلاً .. أنا أعلم لماذا أنت غاضب منى .

واغرورقت عيناها بالدموع ، وهى تضيف :

ـ لقد عرفت ما فعلته أمس .. أليس كذلك ؟!

كان هذا أكثر ما يقلقه ، منذ انتحل شخصية (مورونى) .. علاقاته الشخصية ..

فهو يحفظ ملفه الوظيفى والحياتى عن ظهر قلب ، ويحاول الالتزام به ، فى كل خطوة يخطوها ..

ولكن العلاقات الشخصية أمر من المستحيل معرفته بدقة ..

وهو أمر بالغ الخطورة فى الوقت ذاته ..

فأى خطأ غير مقصود ، بسبب نقص المعرفة بالعلاقات الشخصية ، يمكن أن يكشف أمره تمامًا ..

وهذا يستلزم الحذر ..

منتهى الحذر ..

لذا ، فقد أشاح بوجهه عن (جيفيت) ، وهو يسألها :

ـ وماذا فعلت ؟!

انهمرت الدموع من عينيها ، وهى تجيب :

ـ لقد .. لقد تصورت أننى أؤدى واجبى ..

أقلقته عبارتها أكثر ، فالتفت إليها ، قائلاً :

ـ ماذا فعلت يا (جيفيت) ؟! أقصد يا (جيفى) .

التصقت به ، مجيبة ، وهى تخفى وجهها فى صدره :

ـ لقد أبلغت أحد رجلى (الموساد) معنا بشكوكى نحوك .

بوغت بجوابها ، فسألها فى حذر شديد :

ـ شكوكك نحوى ؟!

بكت على صدره فى حرارة ، وهى تقصّ عليه ما فعلته أمس ، فانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يبذل جهدًا حقيقيًا ، للسيطرة على مشاعره ..

لقد أخبرت رجل الموساد (كاهان) بشكوكها تجاهه ، وهو يعرف رجال الموساد جيدًا ..

ذرة واحدة من الشك تكفى ، لكى تستفز كل مشاعرهم وانتباههم ، وتدفعهم إلى العمل ، والمراقبة ، والتحرى ..

وهذا يعنى أنه تحت مراقبتهم بالفعل الآن ..

وأنه سيظلّ كذلك طوال الوقت ..

حتى عندما يصل إلى (إسرائيل) ..

لن تبتعد عيونهم عنه لحظة واحدة ، مادامت (جيفيت) قد بذرت فى نفوسهم بذور الشك تجاهه ..

والأسوأ أنهم سيقومون بعمل تحريات أخرى عن (جاك مورونى) ..

تحريات يمكن أن تقودهم إلى الحقيقة ..

إلى عمله لحساب المخابرات السوفيتية فى الماضى ..

ولو أنهم توصّلوا إلى هذا ، قبل أن ينتهى هو من مهمته ، فسيواجه (جاك مورونى) فى قلب (إسرائيل) خطرًا رهيبًا ..

وكبيرًا ..

دارت هذه الأفكار فى ذهنه ، وهو يدير عينيه فيما حوله فى حذر ، و (جيفيت) لا تزال تبكى على صدره ..

ولثانية أو أقل ، ارتطمت عيناه بعينى (كاهان) ، اللتين بدتا كعينى صقر متحفز للانقضاض على فريسته ، وهو يراقب بكاء (جيفيت) على صدره .

ولكن عينى (أدهم) لم تتوقفان عنده ..

لقد واصلتا طريقهما على نحو طبيعى ، يوحى بأنه كان يطالع لوحات المعرض وليس رواده ..

وفى هدوء عجيب ، وعلى الرغم من تعرّفه (كاهان) ، ربَّت (أدهم) على كتف (جيفيت) ، قائلاً :

ـ هل شاهدت (الموناليزا) ؟!

رفعت عينيها إليه فى دهشة ، مغمغمة :

ـ رأيت ماذا ؟!

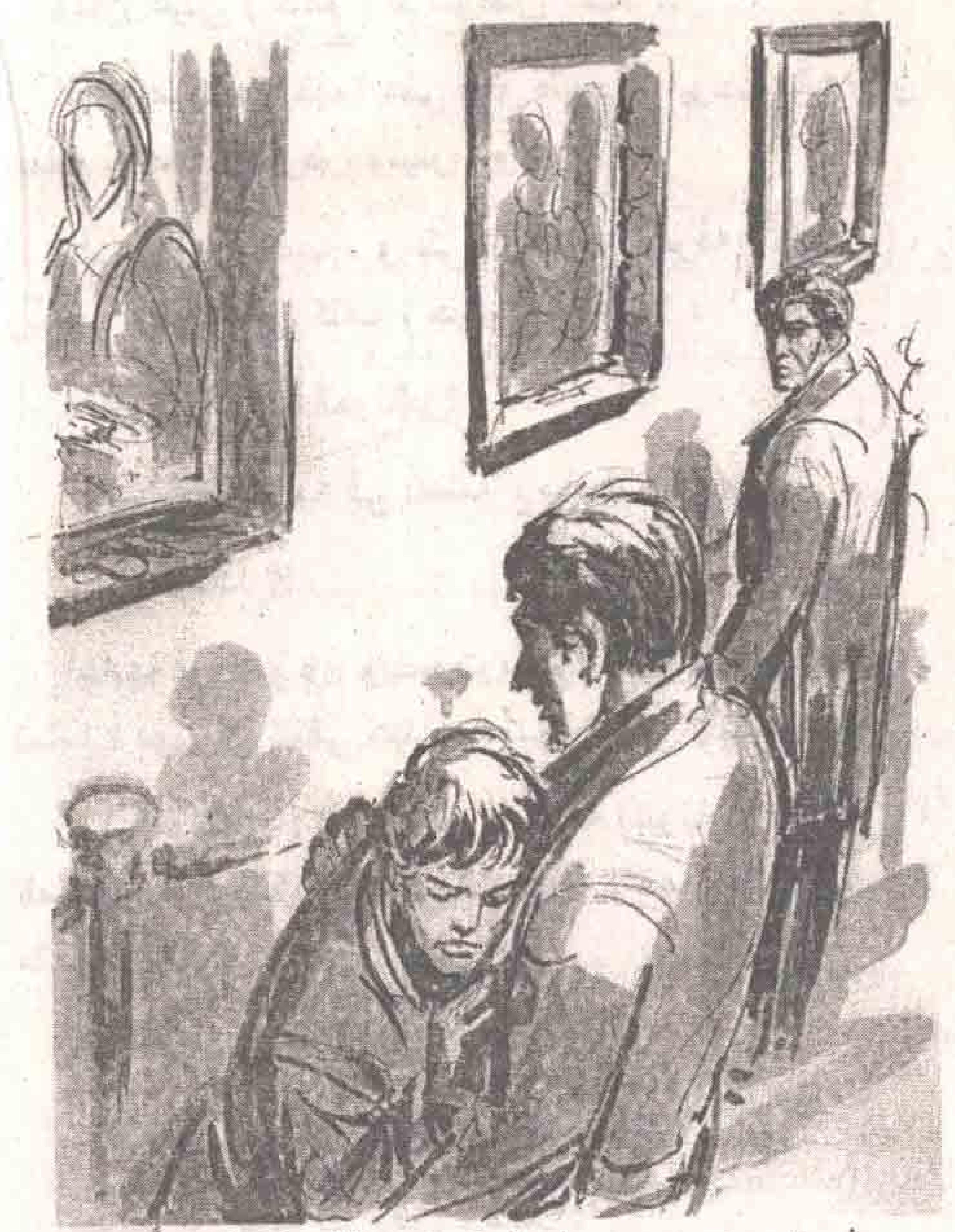
أجابها فى هدوء ، وبصوت يماثل صوت (مورونى) تمامًا ، دون أن تلتقى عيناه بعينيها ، حتى لاتكشف أمره :

ـ (الموناليزا) يا عزيزتى .. تحفة (ليوناردو دافنشى) ، المصوّر والمثال الإيطالى الشهير .. إنهم يعتبرونها درة متحف (اللوفر) .

قالت فى دهشة :

ـ (جاك) .. هل تتهرَّب من مواجهتى ؟!

جذبها من يدها فى رفق ، قائلاً :



وفى هدوء عجيب ، وعلى الرغم من تعرّفه (كاهان) ربت (أدهم) على كتف (جيفيت) ..

ـ هنـاك أيضـًا لوحـات (مونيه) ، و (فان جوخ) ، وغيرهما ..

عضت شفتها مرة أخرى ، وهى تتبعه فى استسلام حزين ، مغمغمة :

ـ إذن فأنت لم تسامحنى .

قال فى صرامة ، ودون أن يلتفت إليها :

ـ عزيزتى .. دعينا نستمتع بالرحلة ، وسيكون لدينا الكثير من الوقت ، لنناقش كل هذا فى (إسرائيل) .

لم تعترض هذه المرة ، وسارت إلى جواره مستسلمة خاضعة ، وكأنها تعتذر بهذا عن وشايتها ، فى حين راح هو يلعب دوره فى مهارة ، مدركـًا أن (كاهان) لا يرفع عينيه عنه لحظة واحدة ..

ولأنه ينوى إجادة دوره حتى النخاع ، لم يكن (أدهم) يبالى كثيرًا بمراقبة (كاهان) المستمرة له ..

أمر واحد كان يقلقه ويشغله فى هذا الشأن ..

وبشدة ..

لو واصل (كاهان) مراقبته على هذا النحو ، وبكل هذا الإصرار وهذه الدقة ، طوال وجودهم فى (باريس) ، فكيف سيتمكن من الحصول على ذلك القفاز ، الذى يحوى بصمات (مورونى) الحقيقى ، قبل عودة الفوج إلى (تل أبيب) ؟!

كيف ؟!

كيف ؟!

* * *

لم تكد الطائرة القادمة من (واشنطن) تهبط ، فى مطار (القاهرة) ، حتى أشار المقدّم (عمرو) بيده فى توتر ، قائلاً :

- هيا بنا .. سنحضره من عند سلم الطائرة .

دلف سائق سيارة المخابرات إليها ، وهو يقول :

- أليس من الأفضل أن ننتظر خروجه على نحو طبيعى ، حتى لا نثير التساؤلات ؟!

هزّ (عمرو) رأسه فى قوة ، قائلاً :

- المطار مزدحم اليوم ، ولن يمكننى الانتظار ، حتى ينهى كل إجراءاته الجمركية ..

ثم أشار بيده ، مضيفًا بلهجة آمرة :

- هيا بنا .

انطلق السائق بالسيارة ، وأبرز تصريح الأمن الخاص ، قبل أن ينطلق بها نحو طائرة (أمريكا) ، وعند سلمها ، هتف (عمرو) :

- ها هو ذا .

شاهدهما رجل المخابرات ، المسئول عن مكتب (واشنطن) ، فاتجه إليهما مباشرة وهو يحمل حقيبة كبيرة ، تبدو أكبر من مجرّد حقيبة يد عادية ، وابتسم ، قائلاً :

- لم أتوقّع أن تستقبلوننى هنا .

صافحه المقدّم (عمرو) فى شىء من التوتر ، وسأله وهو يفسح له مكانًا إلى جواره ، على المقعد الخلفى للسيارة :

- هل أحضرته معك ؟!

ربّت مسئول مكتب (واشنطن) على الحقيبة الكبيرة ، قائلاً :

- بالتأكيد .. إنه نسخة طبق الأصل ، من ذلك الذى يستخدمونه فى مفاعل (ديمونة) .

تطلَّع المقدَّم (عمرو) إلى الحقيبة ، وهو يسأله فى لهفة :

- هل تعتقد أنه سيعمل بنفس الكفاءة ؟!

أجابه مبتسمًا :

- ولم لا ، ما دام من نفس الطراز والإنتاج ؟!

تنهَّد (عمرو) فى ارتياح ، وتراجع ليستقر فى مجلسه ، مغمغمًا :

- حمدًا للّه .

سأله مسئول (واشنطن) فى اهتمام :

- ولكن لماذا كنتم تريدونه بهذه السرعة ؟!

أجابه (عمرو) فى اقتضاب :

- مجرَّد اختبارات .

أدرك الرجل ، من إجابة المقدَّم (عمرو) ، أن الأمر سرى إلى حد كبير ، لذا فقد لاذ بالصمت ، واكتفى

بالجلوس على مقعده ، حتى وصلت بهم السيارة إلى مبنى المخابرات العامة ..

وهناك ، أسرع المقدَّم (عمرو) بالجهاز إلى القسم الفنى ، ليتم إعداده للعمل ، ثم انتقل إلى حجرة (قدرى) ، ودقَّ بابها فى شىء من الحذر ، وخُيِّل إليه أن دهرًا قد مضى ، قبل أن يأتيه صوت (قدرى) من الداخل ، وهو يقول :

- لحظة واحدة .

واتته رغبة عارمة فى أن يقتحم المكان عنوة ، ويصرخ فى وجه (قدرى) :

- هل تدرك قيمة الوقت ، فى عملية كهذه ؟!

ولكنه بذل قصارى جهده ليتماسك وينتظر ، طوال الدقائق الثلاث التى تلت هذا ، قبل أن يفتح (قدرى) الباب ، قائلاً :

- معذرة يا سيادة المقدَّم ، ولكن إحدى مراحل العمل كانت تستلزم الإظلام التام .

غمغم (عمرو) فى توتر :

- لا بأس .. لا بأس .

ثم مدَّ بصره وراء كتف (قدرى) المكتظ ، وكأنما يأمل فى رؤية ما يريد ، داخل حجرة هذا الأخير ، وهو يسأله :

ـ هل أنجزت شيئًا ؟!

أجابه (قدرى) ، وهو يستدير عائدًا إلى حجرته :

ـ بالتأكيد .

لحق به (عمرو) فى لهفة ، هاتفًا :

ـ هل صنعت القفازين ؟!

أجابه فى بساطة ، وهو يشير إلى حافظة كبيرة أمامه :

ـ صنعت نسخة اختبار .

هتف المقدَّم (عمرو) مستنكرًا :

ـ نسخة اختبار ؟! هل تدرك حقًّا قيمة الوقت المتاح لنا يا سيِّد (قدرى) ؟! هذا القفاز ينبغى أن يكون داخل حجرة الرجال ، فى مطعم (بون أبيتى) ، فى (الشانزليزيه) قبل السابعة من مساء غد ، وفقًا لبرنامج سياحى دقيق ، ولو عجزنا عن إخفائه فى المكان المتفق عليه ، فى الوقت المناسب ، فسيعنى هذا أن يسافر (أدهم) إلى (إسرائيل) بدونه ، أو أن يبقى فى (باريس) ، فنخسر كل شىء .

تطلَّع إليه (قدرى) فى هدوء ، حتى انتهى من هتافه ، ثم قال :

ـ النسخة الاختبارية أمر حتمى يا سيِّد (عمرو) ، ثم إن وجود جهاز فحص البصمات وحده لا يكفى لتحديد صلاحيتها ، إلا لو كانت لدينا نسخة من بصمات (مورونى) الفعلية ؛ لمقارنتها بما ستلتقطه موجات جهاز فحص البصمات ، من قفازنا .

أجابه (عمرو) فى عصبية :

ـ (أدهم) كان يدرك هذا ، لذا فقد التقط بصمات (مورونى) من جثته ، والفنيون يغذون بها الجهاز الآن .

هزَّ (قدرى) كتفيه المكتظين ، قائلاً :

ـ عظيم .. هذا يعنى أننا نستطيع اختبار نسخة القفاز الآن .

قال المقدَّم (عمرو) ، وهو يطلق زفرة عصبية :

ـ الفنيون يحتاجون إلى نصف ساعة أخرى ؛ لإعداد الجهاز للعمل للمرة الأولى .

مطَّ (قدرى) شفتيه ، وهزَّ رأسه ، قائلاً :

ـ عظيم .. هذا يمنحنى الوقت الذى أحتاج إليه .

سأله المقدِّم (عمرو) فى توتر ، عندما رآه يتجه نحو مكتبه فى اهتمام :

ـ ألديك ما ينبغى إضافته للنسخة الاختبارية ؟!

فتح (قدرى) درج مكتبه ، وهو يقول :

ـ ومن تحدَّث عن النسخة الاختبارية ؟!

قالها ، وهو يلتقط من درج مكتبه شطيرة كبيرة ، راح يلتهمها فى تلذُّذ ، فحدَّق فيه المقدِّم (عمرو) لحظة فى دهشة ، قبل أن يهتف مستنكرًا :

ـ شطيرة ؟! هل تفكِّر فى الطعام ، فى مثل هذه الظروف ؟!

ابتسم (قدرى) ، وهو يواصل التهام شطيرته ، قائلاً :

ـ ومنذ متى تمنع الظروف المرء من تناول طعام غدائه ؟!

هتف المقدِّم (عمرو) فى سخط :

ـ يا للسخافة ! لو رآك (أدهم) تفعل هذا ، لأطلق النار على كرشك بلا تردُّد .

تحسَّس (قدرى) كرشه بلا مبالاة ، واختفى الجزء الأخير من شطيرته فى حلقه ، وهو يتناول زجاجة مياه غازية ، قائلاً :

ـ صحيح أننى لم ألتق بالسيِّد (أدهم) هذا قط ، ولكن من الواضح أنه شخص متميِّز ، ويمتلك حاسة فنية قوية ، ومثله لن يقدم على حماقة كهذه أبدًا .

والتقط نفسًا عميقًا ، ليدفع بعض المياه الغازية بعده إلى معدته ، قبل أن يضيف ، وهو يهزّ رأسه فى استمتاع :

ـ يا إلهى ! كم أتمنى العمل مع شخص مثله .

كظم المقدِّم (عمرو) غيظه فى صعوبة ، وأطلق زفرة حارة ، من أعمق أعماق صدره ، وهو يقول :

ـ من يدرى ؟! لو نجحت خطته المجنونة هذه ، فربما تعمل معه بالفعل يومًا .

نهض (قدرى) من مقعده ، والتقط نسخة القفاز الاختبارية ، قائلاً :

ـ نعم .. ربما .

ثم أشار بيده ، مستطردًا :

ـ والآن .. ألا تعتقد أنه من الأفضل أن نعرض القفاز على السيِّد المدير ، حتى يحين موعد اختباره .

لم تمض دقائق على قوله هذا ، حتى كان الاثنان فى مكتب مدير المخابرات العامة ، الذى فحص القفاز فى اهتمام شديد ، وهو يقول :

ـ إنه شفاف تمامًا يا سيِّد (قدرى) ، ورقيق إلى حد مدهش .

أجابه (قدرى) فى سرعة :

ـ لقد اضطررت إلى صنعه بهذه الشفافية يا سيِّدى ؛ لأننى أجهل لون بشرة السيِّد (أدهم) الحقيقى .. والقفاز ليس شفافًا فحسب ، ولكنه مصنوع من مادة قوية ، لا تعكس الضوء أبدًا ، وعندما يرتديه أى مخلوق ، لن يمكن ملاحظته أبدًا ، ما دام يخفى معصميه بأسورة قميصه .

فحص المدير القفاز مرة أخرى ، ثم ارتداه فى حذر شديد ، فغمغم (قدرى) مبتسمًا :

ـ لا تقلق يا سيادة المدير .. إنه لن يتمزَّق ؛ فمادته قوية إلى حد كاف .

تطلَّع المدير إلى القفاز الذى يرتديه فى اهتمام ، وارتفع حاجباه فى حركة تشفّ عن الإعجاب ، قبل أن يقول :

ـ لو أن كفاءته فى العمل تتساوى مع إنتاجه المبهر ، فسيصبح تحفة فنية ، على أى مقياس .

لم يكد يتمّ عبارته حتى دلف مدير مكتبه إلى المكان ، قائلاً :

ـ مندوب القسم الفنى يقول : إن الجهاز مستعد للاختبار يا سيادة المدير .

نهض المدير من خلف مكتبه ، قائلاً :

ـ عظيم .

انتقل مع (قدرى) والمقدِّم (عمرو) إلى القسم الفنى ، وهو ما زال يرتدى القفاز ، وتوقَّف لحظة أمام جهاز فحص البصمات ، المطابق لذلك الذى يستخدمه الإسرائيليون ، فى مفاعل (ديمونة) ، والفنى يقول :

ـ ألصق راحتك كلها بلوحة الجهاز يا سيادة المدير ، وستقوم خلية ضوئية حساسة بفحص بصماتك ،

وإذا ما تطابقت مع أى من البصمات المختزنة فيه ، فسيضىء المصباح الأخضر ، أما لو لم تتطابق ، فسيضاء المصباح الأحمر ، مع رنين تحذير متصل ..

غمغم المدير :

ـ فليكن .

ثم رفع راحته ، وألصقها بلوحة الجهاز ..

وخفق قلب المقدّم (عمرو) فى عنف ، فى حين تطلّع (قدرى) إلى الجهاز فى اهتمام ، و ..

ولكن فجأة ، أضىء مصباح الجهاز الأحمر ، وانطلق منه رنين التحذير ..

وكان هذا يعنى أن نسخة القفاز الاختبارية قد فشلت .. تمامًا .

* * *

٦ ـ ذئاب الموساد ..

« سيدُ (مورونى) .. أريد أن أتحدَّث إليك قليلاً .. »

استوقف رجل الموساد (أدهم) بالعبارة فى صرامة ، فى الحادية عشرة ليلا ، فى ممر الفندق ، الذى يقيم فيه الفوج الإسرائيلى ، فالتفت إليه (أدهم) فى هدوء ، قائلاً فى بساطة :

ـ فى حجرتى أم فى حجرتك يا أدون (كاهان) ؟!

اتجه (كاهان) نحوه ، ودفعه فى شىء من الغلظة ، قائلاً :

ـ حجرتك أفضل يا أدون (مورونى) .

دلف (أدهم) إلى حجرة (مورونى) فى هدوء ، وأشار إلى مقعد وثير ، قائلا :

ـ تفضّل يا سيِّد (كاهان) .

جلس (كاهان) ، دون أن يرفع عينيه عنه ، وراح يتطلّع إليه بضع لحظاتٍ فى صمت ، فاستقرّ (أدهم) على المقعد المواجه له قائلاً :

ـ أوامرك .

واصل (كاهان) التطلّع إليه فى صمت بضع لحظات ، قبل أن يعتدل ، قائلاً :

ـ عجبًا ! إنك تبدو مختلفًا يا أدون (مورونى) .

سأله (أدهم) فى هدوء :

ـ من أية زاوية ؟!

مطَّ (كاهان) شفتيه ، قائلاً :

ـ وفقًا لتقريرك النفسى ، يفترض بك أن تشعر بالقلق والتوتر ، عندما يطلب أحد ضباط الموساد التحدُّث معك .

هزَّ (أدهم) كتفيه ، وهو يقول :

ـ ولماذا ؟! إننى لم أرتكب ما يدعو للخوف .

قال (كاهان) فى صرامة :

ـ ليس من الضرورى أن تكون هناك أسباب .. هناك أشخاص يشعرون بالخوف من الاحتكاك بالسلطة أو الرسميين ، حتى ولو لم يكن هناك ما يدعوهم إلى هذا .

سأله (أدهم) فى هدوء :

ـ والمفترض أننى واحد من هؤلاء ؟!

أجابه فى صرامة أكثر :

ـ بل من المؤكَّد أنك أحد هؤلاء ، كما تقول التقارير الخاصة بك ، والتى يتمّ إعدادها بعد دراسة طويلة جادة ، بحيث لا تتجاوز نسبة الخطأ فيها واحد فى الألف .

تطلَّع إليه (أدهم) بضع لحظات فى صمت ، قبل أن يقول فى عصبية مفتعلة :

ـ أدون (كاهان) .. لماذا تسعى لاستفزازى ، وإفساد رحلة حلمت بها طويلاً ؟

مال (كاهان) نحوه بحركة حادة ، وهو يسأله فى صرامة :

ـ ولماذا توترت أنت وارتبكت ، عندما احتكّ بكَ ذلك الروسى ، عند برج (إيفل) ؟!

تصنع (أدهم) العصبية أكثر ، وهو يجيب :

ـ لست أدرى ما إذا كان الشخص روسيًّا أم هنديًّا أحمر ، ولكنه حاول سرقة حافظة نقودى مرتين .

انعقد حاجبا (كاهان) فى شدة ، وهو يقول فى حذر :

ـ مرتين ؟!

نهض (أدهم) من مقعده ، وأخذ يلوِّح بذراعيه ، كما كان سيفعل (مورونى) الحقيقى ، لو أنه فى موقعه ، وهو يقول بعصبية وتوتر ، أحسن افتعالهما كأى ممثل عالمى محترف :

ـ نعم .. مرتين .. ربما انتبهتم أنتم إلى محاولته ، عند برج (إيفل) ، ولكن أحدًا لم ينتبه إلى محاولته الجريئة الثانية ، عندما تظاهر بالتعلق بى خطأً ، قبل إغلاق أبواب المترو ، وجذبنى خارجه ، لنسقط معًا أرضًا ، ثم حاول سرقة حافظة نقودى ، وأنا أنهض من سقطتى ، لولا أننى تعرَّفته ، وتشبثت بجيبى الخلفى بكل قوتى .

ازداد انعقاد حاجبى (كاهان) ، وهو يغمغم :

ـ يسرق حافظتك ؟! مرتين ؟!

ثم ارتفع صوته ، وهو يسأله فى صرامة :

ـ ولماذا أنت بالذات ؟!

بدت لهجة (أدهم) أقرب إلى البكاء ، وهو يهتف :

ـ سله عن هذا .

ثم ترك جسده يهوى على مقعده ، ودفن وجهه بين كفيه ، وهو يكمل ، كمن أصابه انهيار عصبى حاد :

ـ لقد أصابنى الهلع منذ ذلك الحين ، ورحت أسأل نفسى طوال الوقت : لماذا أنا ؟! لماذا أنا ؟! وكلما ذهبنا إلى مكان ما ، وجدت نفسى عاجزًا عن الاستمتاع بالرحلة ، وأنا أتلفَّت حولى طوال الوقت خشية أن يقوم بمحاولة أخرى .

تطلَّع إليه رجل الموساد ، بمزيج من الدهشة والحذر والشك والحيرة ، فى حين تمادى (أدهم) فى دوره ، فتظاهر بالبكاء والانتحاب بشدة ، ووجهه مازال مختفيًا بين كفيه ، حتى نهض (كاهان) فى النهاية ، وربَّت على كتفه ، قائلاً :

ـ لا بأس يا أدون (مورونى) .. لا بأس .. لست أظن ذلك الوغد يحاول هذا مرة ثانية .. من المؤكَّد أنه قد انشغل الآن بفوج سياحى آخر .

أومأ (أدهم) برأسه ، دون أن يتوقَّف عن التظاهر بالبكاء ، فتركه (كاهان) ، واتجه إلى باب الحجرة ، وتوقَّف عنده لحظة ، يلقى نظرة شك حذر على (أدهم) ، قبل أن يغادر المكان ، ويغلق الباب خلفه فى هدوء ، بعد أن أطفأ أنوار الحجرة كلها ..

ولثوان ، بعد أن غادر (كاهان) الحجرة ، واصل (أدهم) التظاهر بالبكاء والنحيب ، خشية أن يكون الأوَّل قد ألصق أذنه بالباب ، فى محاولة للتنصُّت عليه ..

ثم فجأة ، اعتدل بكل نشاط وحيوية ، ونهض واقفًا ، وهو يغمغم :

- آه .. من الواضح أن الأيام القادمة ستكون عسيرة للغاية .

كان القناع الملتصق بوجهه يصيبه بتوتر شديد ، فاتجه إلى حمام الحجرة ، وتحسسَّه أمام المرآة الكبيرة ، وهو يقول :

- يبدو أننى سأملّ وجهك تمامًا ، عندما تنتهى هذه العملية يا عزيزى (مورونى) .

وفى حذر ، راح ينزع القناع عن وجهه ، ثم وضعه فى عناية على الرف الرخامى الكبير ، المواجه للمرآة ، و ...

وفجأة ، شعر بأحدهم يفتح باب حجرته ، ويدلف إليها ، ثم يغلق بابها خلفه فى سرعة ، ويتجه فى سرعة نحو الحمام ..

وقبل أن يسأل (أدهم) عن القادم ، أتاه صوت (جيفيت) ، على بعد خطوة واحدة من الحمام ، وهى تقول فى لهفة :

- (جاك) .. إنه أنا .. لقد أتيت للاعتذار بأسلوبى الخاص .

وانعقد حاجبا (أدهم) فى شدة ، وهو يتطلَّع إلى باب الحمام ، المفتوح على مصراعيه ، على نحو لا يسمح له بإغلاقه ، دون أن تلمحه (جيفيت) ..

(جيفيت) التى ستبلغ الحمام ، بعد خطوة واحدة ، لترى وجهه الحقيقى ، بدون قناع (مورونى) ..

وهذا يعنى أن ينكشف أمره ..

وتفشل العملية كلها ..

تمامًا ..

* * *

امتقع وجه المقدِّم (عمرو) فى شدة ، وهوى قلبه بين قدميه ، مع انطلاق جرس الإنذار ، من جهاز فحص البصمات ، معلنًا عجزه عن تعرُّف بصمات (مورونى) ، عبر ذلك القفاز الخاص ، الذى صنعه (قدرى) ..

مدير المخابرات أيضًا بدا على وجهه الانزعاج الشديد ، وهو يهتف :

ـ لقد فشل !

(قدرى) وحده ظلّ هادئًا بسيطًا ، وهو يتطلّع إلى جهاز فحص البصمات ، مغمغمًا :

ـ آه .. إنه يحتاج إلى بصمات أكثر عمقًا .

هتف المقدّم (عمرو) فى غضب :

ـ أهذا كل ما لديك ؟!

قال (قدرى) فى هدوء ، وهو يعاون المدير على نزع قفازه :

ـ لا تقلق يا سيادة المقدّم .. الأمر يحتاج إلى تعديل فحسب .

صاح المقدّم (عمرو) فى حدة :

ـ ألا تدرك كم يمضى الوقت فى سرعة ؟!

رفع (قدرى) عينيه إليه فى هدوء ، قائلاً :

ـ بل أدرك هذا جيدًا .

ثم اتجه نحو الباب ، متابعًا فى بساطة :

ـ ولهذا أصنع النسخة الاختبارية أوّلاً .

تابعه المقدّم (عمرو) ببصره فى سخط ، وهو يغادر المكان فى هدوء ، ثم لم يلبث أن هتف فى غضب :

ـ هذا الـ ...

أوقفه المدير بتربيتة على ظهره ، قائلاً :

ـ اهدأ يا (عمرو) .. هذا الشاب قد يبدو هادئًا لا مباليًا ، إلا أنه يعرف عمله ويجيده تمامًا .

لوّح المقدّم (عمرو) بيده ، قائلاً فى حدة :

ـ ما رأيته يوحى بالعكس تمامًا !

ربّت المدير على كتفه مرة أخرى ، قائلاً :

ـ إنه يؤدّى عملاً يقوم به لأوّل مرة ، ومن الطبيعى ألا يحقق نجاحًا مبهرًا من المحاولة الأولى .

أطلق (عمرو) زفرة حارة من صدره ، فى محاولة لإفراغ كل توتره وانفعاله ، قبل أن يقول :

ـ ولكننى قلق على (أدهم) .. إنه يعتمد تمامًا على وجود القفاز فى موضعه ، فى حجرة الرجال فى (بون أبيتى) ، فى الموعد المحدد مسبقًا ، وإلا فلن يكون هناك مبرر لسفره إلى (إسرائيل) .

انعقد حاجبا المدير ، وهو يفكّر فى عمق ، قبل أن يجذب (عمرو) فى رفق خارج القسم الفنى ، قائلاً :

ـ أعتقد أنه من الضرورى أن نحتاط لهذا الاحتمال أيضًا .

سأله (عمرو) فى لهفة واهتمام :

ـ كيف ؟!

صمت المدير بضع لحظات مفكرًا ، حتى بلغا مكتبه ، فاستقر فيه ، ثم رفع سبّابته ، قائلاً فى حزم :

ـ متى سيسافر (حازم) إلى (تل أبيب) ؟!

أجابه المقدّم (عمرو) ، وهو يتساءل عن صلة هذا بمشكلتهم الحالية :

ـ وفقًا للخطة ، سيسافر صباح الغد إلى (روما) ، ومنها سيستقل طائرة (العال) الإسرائيلية إلى (تل أبيب) ،

فى الخامسة عصرًا ، بجواز السفر الإيطالى ، الذى يحمل اسم (تونى روماريو) .. أما الشحنة فستصل مساء الغد ، باسم (كوهين مونرو) ، وستكون أوراقها كلها سليمة .

هزّ المدير رأسه متفهمًا ، ثم التقط هاتفه الداخلى ، وطلب رقمًا قصيرًا ، ولم يكد يسمع صوت محدّثه ، حتى قال فى حزم :

ـ أهلاً يا سيّد (قدرى) .. إنه أنا .. المدير .

هتف (قدرى) ، فور سماع صوت المدير :

ـ مرحبًا يا سيادة المدير .. لا تقلق بشأن فشل الاختبار الأوّلى .. إننى أصنع الآن نسخة أكثر عمقًا ، و ...

قاطعه المدير فى حزم :

ـ أنا واثق من جودة ما ستصنعه يا سيّد (قدرى) ، لذا فسأطلب منك أن تصنع لنا نسختين ، لا نسخة واحدة .

بُهِتَ (قدرى) للمطلب ، وغمغم فى دهشة :

ـ نسختين ؟! ولماذا ؟!

أجابه المدير فى صرامة :

ـ المعرفة قدر الحاجة يا سيِّد (قدرى) .. لا تنس هذا أبدًا .

غمغم (قدرى) فى حرج :

ـ آه .. بالتأكيد يا سيادة المدير .. بالتأكيد .

أنهى المدير الاتصال ، ورفع عينيه إلى المقدِّم (عمرو) ، الذى سأله فى حيرة :

ـ ولماذا نسختين يا سيادة المدير ؟!

ابتسم المدير ، قائلاً :

ـ تمامًا كما فى الشطرنج يا سيِّد (عمرو) .. لنتخذ الاحتياطات ضد كل الاحتمالات الممكنة .

وصمت لحظة ، قبل أن يبتسم فى غموض ، مضيفًا :

ـ ولنضيف مهمة جديدة لزميلكم (حازم) .. مهمة فى (تل أبيب) ..

قالها ، واتسعت ابتسامته ، وهى تزداد غموضًا أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

* * *

بحركة سريعة رشيقة مدروسة ، وثب (أدهم) جانبًا ، وضغط زر الإضاءة ، فى نفس اللحظة التى وصلت فيها (جيفيت) إلى باب الحمام ..

ومع انقطاع الضوء المباغت ، وانسدال ستار الظلام المفاجئ ، أطلقت الإسرائيلية شهقة مكتومة ، وقفزت من مكانها ، صائحة فى فزع :

ـ (جاك) .

أجابها (أدهم) بصوت (جاك مورونى) وأسلوبه :

ـ لا تقلقى يا عزيزتى .. أنا هنا .

تحسَّست طريقها إليه فى حذر ، وهى تقول فى توتر :

ـ هل .. هل انقطع التيار الكهربى ؟!

مدّ يده ليعاونها ، وهو يجيبها فى حزم :

ـ بل أنا أطفأت الأنوار .

هتفت فى دهشة ، وهى تلتقط يده :

ـ أنت ؟! ولماذا ؟!

أجابها بنفس الحزم :

ـ لم أشأ أن تريني هكذا .

هتفت في دهشة أكثر :

ـ هكذا ؟!

ثم أطلقت ضحكة عابثة ، واقتربت منه أكثر ، قائلة في دلال :

ـ ولكنني رأيتك بالفعل ، في كل الأوضاع الممكنة يا عزيزي .

قال في صرامة ، وهو يعترض اقترابها بكفه :

ـ ولكن هذا لم يمنعك من الإبلاغ عني .

تراجعت بحركة حادة ، قائلة :

ـ ولكنني اعترفت لك بنفسي ، وأتيت هنا الآن لأعتذر لك .

وحاولت أن تعانقه ، مضيفة :

ـ هل تذكر كيف كنت أعتذر لك فيما مضى ؟!

أبعدها مرة أخرى في صرامة ، قائلاً :

ـ رجل الموساد زارني منذ قليل ، وكان صارمًا للغاية .

حمل صوتها رنة باكية ، وهي تقول :

ـ (جاك) .. أرجوك .. إنني ..

قاطعها صارمًا :

ـ عودي إلى حجرتك يا (جيفيت) .

صاحت في انهيار :

ـ ولكنني هنا لأعتذر .

كرَّر في حدة :

ـ عودي إلى حجرتك .

كان الظلام يمنعه من رؤيتها ، إلا أن ارتجافة أصابعها بين أصابعه أنبأته بانفعالها ، قبل أن تبتعد عنه في حركة حادة ، صائحة :

ـ ماذا أصابك ؟! إنك لم تكن هكذا أبدًا !

قال في حدة :

ـ وأنت لم تحاولي إيذائي من قبل .

صاحت في غضب :

ـ كلا .. ليس هذا تفسيرًا لما تفعله .. أنت لست (جاك) الذى أعرفه .. أنت شخص آخر .. شخص لا أعرفه .

أقلقته كلماتها ، فلان صوته بعض الشىء ، وهو يقول :

ـ (جيفيت) .. عودى إلى حجرتك الآن ، وسنناقش هذا فى الصباح .. إننى متوتر ، ولست مستعدًا لـ ...

صرخت تقاطعه :

ـ أنت لست (جاك) ..

ثم اكتسب صوتها شراسة عنيفة ، وهى تضيف :

ـ لماذا تتحاشى لمسى ، وكنت فى الماضى لا تسأم هذا قط ؟! ثم لماذا هذا الظلام ؟! لماذا لا تريدنى أن أرى وجهك ؟!

قال فى توتر حقيقى هذه المرة :

ـ لدى أسبابى .

صرخت :

ـ أية أسباب ؟! أنت لست (جاك) .. أنا واثقة من أنك لست (جاك) .

ثم تراجعت فى سرعة ، وارتطمت بالجدار ، قبل أن تتحسَّس طريقها إلى باب الحجرة ، مواصلة صرخاتها :

ـ أنت لست (جاك) .. لست (جاك) .

انعقد حاجبا (أدهم) فى توتر ، وهى تغادر حجرته ، وتعدو عبر ممر الفندق إلى حجرتها ، وهى تجهش بالبكاء ، مردِّدة العبارة نفسها ..

وفى خفة وحذر ، أغلق (أدهم) باب حجرته خلفها ، وألصق ظهره به ، وهو يعقد ساعديه أمام صدره ، ويعقد حاجبيه فوق عينيه ..

الموقف يتعقَّد أكثر وأكثر فى كل مرة ، خاصة أنه لا يستطيع استنتاج رد فعل (جيفيت) مما حدث ..

وتنهَّد فى عمق ، وعقله يدرس كل الاحتمالات الممكنة ، وكل ردود الفعل المنتظرة منها ، ومن الباقين ..

وبخاصة رجل الموساد (كاهان) ..

تُرى هل سمع صراخ (جيفيت) ، وهتافها بأنه ليس (جاك) ؟!

هل ؟!

في نفس اللحظة التي ألقى فيها (أدهم) السؤال على نفسه ، كان (كاهان) معقود الحاجبين في حجرته ، وإبهاما كفيه المتشابكين يداعبان ذقنه في عصبية وتوتر ، بعدما سمع ورأى (جيفيت) ، وهي تعدو من حجرة (جاك) إلى حجرتها ..

ومازالت عبارتها تدوي في أذنيه ..

وتدوي ..

وتدوي ..

لماذا أصرَّت على أن هذا ليس (جاك) ؟!

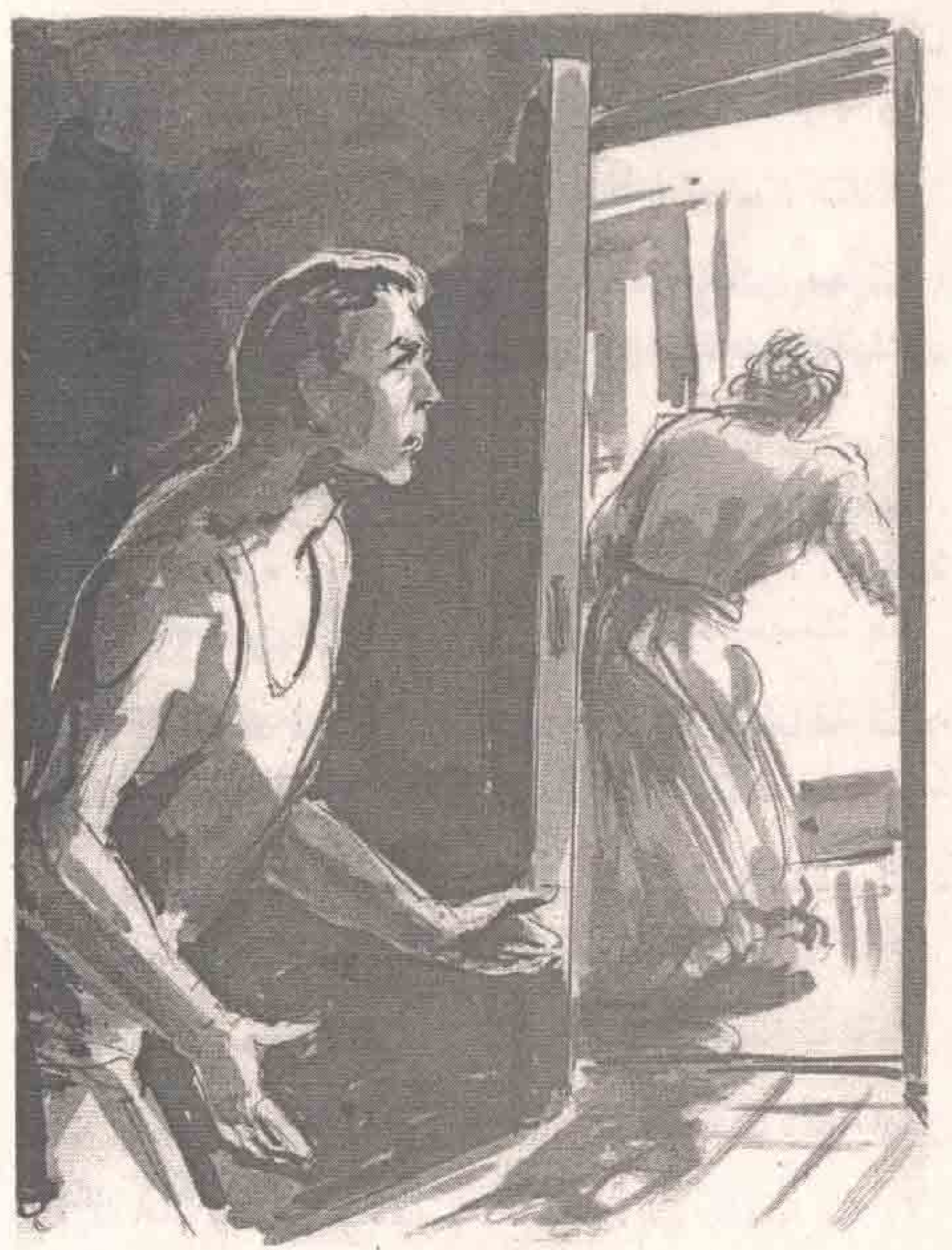
وما الذي كانت تقصده بهذا ؟!

وماذا كانت تعنيه ؟!

ماذا ؟!

استغرقه التفكير حتى وقت متأخرٍ من الليل ، قبل أن ينهض لمراجعة ملف (جاك موروني) للمرة العاشرة ، وذهنه يبحث عن الأسلوب الأمثل للخطوة التالية ..

الخطوة التي ينبغي أن يحسم بها هذا الشك ، ويجيب بها عن السؤال الذي يكاد يلتهم عقله وكيانه بلا رحمة ..



انعقد حاجبا (أدهم) في توتر ، وهي تغادر حجرته ، وتعدو عبر ممر الفندق ، إلى حجرتها وهي تجهش بالبكاء ..

لماذا تغيّر (مورونى) فجأة ؟!

لماذا ؟!

وكان عليه أن يحسم الأمر فى مساء اليوم التالى ، وقبل عودة الفوج إلى (تل أبيب) ..

لابد أن يُحسم ..

وإلى الأبد ..

* * *

« الإسرائيليون يتحرون أمر (جاك مورونى) فى (بولندا) .. »

كانت هذه المعلومة هى أوّل ما ارتطم به مدير المخابرات العامة المصرية ، عندما دخل إلى مكتبه ، فى صباح اليوم التالى ، فالتقى حاجباه فى توتر ، وهو يستقر على مقعده الوثير ، مغمغمًا :

ـ تطوّر خطير ، لم يكن فى الحسبان أبدًا .

وصمت لحظة مفكّرًا ، قبل أن يشير إلى مدير مكتبه ، قائلاً فى حزم :

ـ اتصل بالمجموعة الخاصة بعملية (ديمونة) ، وأخبرهم بعقد اجتماع عاجل ، بعد ساعة واحدة من الآن .

أسرع مدير مكتبه لتنفيذ الأمر ، فى حين التقط هو سمّاعة هاتفه الخاص ، وطلب رقم معمل (قدرى) ، الذى لم يكد يسمع رنين الهاتف ، حتى التقط سمّاعته فى سرعة قائلاً فى إرهاق :

ـ نعم يا سيادة المدير .. إننى أواصل العمل بلا انقطاع ، منذ مساء أمس ، والنسخة الاختبارية الثانية توشك على الانتهاء .

سأله المدير فى صرامة :

ـ ومتى يمكننا اختبارها ؟!

ألقى (قدرى) نظرة مجهدة على ساعته ، قبل أن يجيب :

ـ فى التاسعة تقريبًا .

أجابه المدير :

ـ عظيم .. احرص على أن تحصل على النتائج ، فى هذا الموعد بالتحديد ، فمن المحتم أن يستقل المقدّم (عمرو) طائرة الواحدة إلى (باريس) .

غمغم (قدرى) وكل ذرة فى كيانه المرهق تتلهّف لوجبة دسمة :

ـ سأبذل قصارى جهدى يا سيِّدى .. سأبذل قصارى جهدى .

أنهى المدير الاتصال ، وتراجع فى مقعده ، وعاد يدرس الموقف كله مرة أخرى ..

كل المعطيات ..

وكل الاحتمالات ..

وفى كل مرة ، كانت الخطة تؤكِّد أنها مجنونة بحق ..

مجنونة للغاية ..

ولكنها كانت الأمل الوحيد ، المتبقى للمخابرات المصرية ، لتنفيذ ما طلبه السيِّد رئيس الجمهورية شخصيًّا ..

الكل فى حجرة الاجتماعات الرئيسية كان يدرك هذا ، عندما بدأ الاجتماع ، الذى طرح فيه المدير ذلك الموقف الأخير ..

تحريات الإسرائيليين عن حياة (موروني) فى (بولندا) ..

وكان المغزى واضحًا ، لكل رجل مخابرات محترف ..

لقد أحاطت الشكوك بـ (أدهم) ..

أو بمعنى أدق ، بـ (جاك موروني) الجديد فى (باريس) ..

ولأن ملف (موروني) نظيف تمامًا ، فى كل جهات الأمن فى (إسرائيل) ، فقد لجأ الإسرائيليون إلى التحرّى عن تاريخه الأسبق ، قبيل هجرته إليهم ..

« لقد احتجنا إلى ثلاثة أيام ، لكشف علاقة (موروني) السابقة بالاتحاد السوفيتى .. »

نطق أحد رجال المخابرات بالعبارة فى توتر ، قبل أن يلوِّح بيده ، متابعًا :

ـ وربما يستغرق الإسرائيليون وقتًا أكثر ، أو أقل .. لا يمكننا التنبؤ بهذا ، ولكنهم ، فى كل الأحوال ، سيكشفون الحقيقة ، إن عاجلاً أو آجلاً .

قال آخر فى قلق :

ـ المهم أن يكشفوها بعد أن ينتهى (أدهم) من مهمته .

مال المدير إلى الأمام ، قائلاً :

ـ لا أحد يمكنه التنبؤ بهذا .

ثم انعقد حاجباه ، مستطردًا :

ـ وهذا يعنى أن مهمة (أدهم) تزداد تعقيدًا وخطورة ، وعودته مع الفوج السياحى إلى (إسرائيل) قد تعنى نهايته .

تراجع المقدَّم (عمرو) فى مقعده ، وهو يقول :

ـ قبل أن تتخذوا أية قرارات فى هذا الشأن ، لست أعتقد أن الملازم أول (أدهم) سيتراجع ، قبل أن يصل إلى هدفه ، فى قلب مفاعل (ديمونة) ، مهما كانت المخاطر .. صحيح أننى لم ألتق به إلا ليوم أو يزيد ، إلا أننى أدركت مدى صلابته ، وإصراره على مواجهة المستحيل ، مادام يعمل تحت علم (مصر) .

سأله أحد زملائه :

ـ حتى ولو كان هذا يعنى وقوعه فى قبضة الإسرائيليين ؟!

أجابه المقدَّم (عمرو) فى حزم :

ـ حتى ولو كان يعنى تمزيقه إربًا .

تبادل الرجال نظرة قلقة حائرة ، فقال المدير :

ـ فى هذه الحالة ، أفضل ما نفعله هو أن نتابع تحريات الإسرائيليين لحظة فلحظة ، حتى نعرف المدى الذى وصلوا إليه ، بحيث يمكننا تحذير (أدهم) فى اللحظة المناسبة .

تنهَّد المقدَّم (عمرو) ، مغمغمًا :

ـ لن يتراجع ، قبل أن يحصل على المعلومة .

ولم يعلِّق أحدهم على قوله هذه المرة ، وإن راحوا يتبادلون نظرة صامتة قلقة ..

فمع تطوّر الأمور ، بدأ معظمهم يفقد الثقة فى احتمالات نجاح هذه المهمة ..

وبالنسبة لهم جميعًا ، كان (أدهم صبرى) مجرَّد انتحارى ، يسعى بعناد نحو حتفه ..

ونحو مصير رهيب بشع ..

إلى أقصى حد .

★ ★ ★

باسل
Www.dvd4arab.com

٧ ـ رقعة الشطرنج ..

« أدون (مورونى) .. »

من المؤكَّد أن (أدهم) كان يتوقَّع ذلك النداء ، الذى أطلقه (كاهان) فور رؤيته له فى الصباح ، لذا فقد التفت إليه ، وتقمَّص حالة من التوتر الشديد ، وهو يقول :

ـ ماذا تريد منى يا أدون (كاهان) ؟! لقد أجبت عن كل أسئلتك أمس .

ابتسم (كاهان) ابتسامة ذئب ، وهو يقول :

ـ ولماذا تتوتَّر على هذا النحو ؟! أردت أن ألقى عليك تحية الصباح فحسب .

لوَّح (أدهم) بيده ، قائلاً :

ـ صباح الخير .

تطلَّع إليه (كاهان) بضع لحظات فى شك ، ولكن (أدهم) كان قد استوعب الدرس ، الذى لقنه إياه (كاهان) نفسه ، لذا فقد قال فى عصبية وخوف ، كما كان سيفعل (مورونى) الحقيقى ، فى نفس الموقف :

ـ ماذا أيضًا ؟!

صمت (كاهان) بضع لحظات ، وهو يواصل تفرُّس وجهه فى شك ، قبل أن يسأله فى بطء :

ـ هل نمت جيِّدًا أمس ؟!

لعب (أدهم) دوره بمهارة حقيقية ، وهو يلوِّح بذراعه ، كلها ، قائلاً فى مرارة وعصبية زائدتين :

ـ ومن يمكنه النوم ؟!

سأله (كاهان) فى سرعة :

ـ وماذا أقلقك ؟!

تلفَّت (أدهم) حوله ، ثم مال على أذنه ، وكأنما يذيع سرًّا ، وهو يهمس :

ـ تلك المأفونة (جيفيت) .. لقد تسلَّلت إلى حجرتى أمس ، ثم راحت تصرخ فى وجهى ، وتقول : إننى لست (جاك) ، وراحت تردِّد هذا صارخة ، حتى كدت ألطمها على وجهها .

سأله (كاهان) فى اهتمام جاد ، وهو يدرس ملامحه جيِّدًا :

- ولماذا تقول هذا ؟!

عاد (أدهم) يتلفت حوله فى قلق ، قبل أن يهمس فى عصبية :

- لأننى رفضت أن ...

لم يتمّ عبارته ، فتساءل (كاهان) فى شىء من الصرامة :

- رفضت ماذا ؟!

تظاهر (أدهم) بالارتباك بضع لحظات ، قبل أن يهتف :

- آه يا أدون (كاهان) .. أنت تفهم ما أعنيه .

ابتسم (كاهان) فى خبث ، وألقى نظرة على (جيفيت) ، التى تقف مع باقى الفوج ، عند الأتوبيس ، الذى يستعد لحملهم إلى قصر (فرساى) ، ثم قال :

- ولماذا رفضت ؟! (جيفيت) أنثى رائعة بكل المقاييس ، وأى رجل هنا يتمنى أن ...

قاطعه (أدهم) فى عصبية :

- مستحيل ! .. ليس بعد أن شكت فى أمرى .

التفت إليه (كاهان) بحركة حادة ، قائلاً :

- وكيف عرفت ؟!

أشار (أدهم) نحوها ، مجيبًا فى عصبية :

- هى نفسها أخبرتنى ، وأرادت أن تعتذر ..

انعقد حاجبا (كاهان) فى غضب ، وهو يغمغم :

- هى أخبرتك ؟!

هتف (أدهم) مستنكرًا :

- تصورً ؟!

رمق (كاهان) (جيفيت) بنظرة غاضبة من بعيد ، وهو يقول :

- نعم .. مع النساء ، يمكننى أن أتصورً أى شىء .

ثم ربَّت على كتف (أدهم) مستطردًا :

- لا عليك .. عندما تتزوَّج ستعتاد هذا .

قالها ، واتجه مباشرة نحو (جيفيت) ، فتراقصت ابتسامة باهتة على شفتى (أدهم) ، وهو يغمغم :

- ابذل قصارى جهدك أيها الوغد .. أنا أيضًا أجيد لعبة الشطرنج .

نطقها ، وهو يتابع حديث (كاهان) و (جيفيت) ، ويتساءل : ترى ما الذى ستحمله الساعات القادمة ؟!

وماذا ينتظره فيها ؟!

ماذا ؟!

ماذا ؟!

* * *

تردَّد المدير لحظة ، بعد أن ارتدى النسخة الاختبارية الجديدة من القفاز ، الذى يحمل بصمات (جاك مورونى) ، حتى قال المهندس الفنى ، المشرف على الاختبار :

- ألصق راحتك بلوحة الجهاز يا سيادة المدير .

ألصق المدير راحته ذات القفاز بلوحة الجهاز ، وخفق قلب المقدَّم (عمرو) فى قوة ، وهو يتطلَّع إليه فى لهفة ، فى حين بدا (قدرى) شغوفًا للغاية ، و ...

ولكن شيئًا لم يحدث ..

الجهاز لم يوافق أو يعترض ..

لم يسمح بالدخول ، أو يرفضه ..

وفى توتر ، غمغم المدير :

- ما هذا بالضبط ؟!

هزَّ المهندس الفنى رأسه فى حيرة ، مغمغمًا :

- لست أدرى .

هتف المقدَّم (عمرو) فى حدة ، وهو يواجه (قدرى) فى غضب :

- لقد فشلت التجربة .. أليس كذلك ؟!

أشار إليه (قدرى) بيده المكتظة إشارة صارمة ، وقد انعقد حاجباه ، وبدا عليه التوتر والترقُّب ، و ...

وفجأة ، أضىء المصباح الأخضر ، وحملت شاشة الجهاز عبارة تقول :

- مسموح بالمرور .

أطلق المهندس الفنى زفرة حارة ، وهتف فى ارتياح :

- أخيرًا .

وانعقد حاجبا المقدّم (عمرو) فى قلق ، فى حين ارتسمت ابتسامة مرتبكة على شفتى المدير ، وهو يسأل :

ـ أيعنى هذا أن التجربة قد نجحت أم فشلت ؟!

أشار (قدرى) إلى الجهاز ، قائلاً :

ـ البصمات تحتاج إلى تعميق آخر بسيط ، فبعمقها الحالى ، بذل الجهاز جهدًا كبيرًا ، حتى أمكنه تعرّفها .

ثم التفت إلى المدير ، مستطردًا فى حماسة :

ـ ولكن لا بأس .. خلال ساعات ثلاث فقط سوف ..

قاطعه المقدّم (عمرو) فى عصبية :

ـ ليس أمامى وقت لعبثك هذا .. لابد أن أستقل الطائرة ، بعد أقل من ساعاتك الثلاث هذه ، وإلا فاتنى الموعد المحدد فى (باريس) .

أشار إليه المدير فى صرامة ، قائلاً :

ـ ليس هنا .

أدرك المقدّم (عمرو) خطأه ، فأطبق شفتيه ، وهو يتمتم من بين أسنانه :

ـ معذرة يا سيّدى .

اصطحبهما المدير معه إلى مكتبه ، وقال فى حزم :

ـ خذ النسخة الاختبارية الثانية معك إلى (باريس) يا (عمرو) .

هتف (قدرى) :

ـ ولكنها تحتاج إلى تحسين .

أجابه المدير فى صرامة :

سنخبر (أدهم) هذا ، فى رسالة شفرية قصيرة ، نرفقها بالقفاز ، فى المخبأ المتفق عليه ، فى مطعم (بونى أبيتى) .

هتف المقدّم (عمرو) :

ـ وماذا لو ..

قاطعه المدير بإشارة صارمة من يده ، مستطردًا :

ـ وسنخبره أيضًا بالموضع الذى سيخفى فيه (حازم) نسخة القفاز النهائية ، فى (تل أبيب) ، باعتبار أن النسخة الحالية مجرّد احتياط ، لو فشل (حازم) ، لأى سبب كان ، فى إخفاء النسخة النهائية ، فى (تل أبيب) .

هتف المقدّم (عمرو) فى حماسة :

ـ رائع .

استدار إليه المدير فى هدوء ، قائلاً :

ـ هيا .. استعد للسفر إلى (باريس) .

ثم انعقد حاجباه ، وهو يضيف فى حزم :

ـ فمن المؤكّد أن (أدهم) بحاجة إلى المؤازرة هناك .

وصمت لحظة ، قبل أن يكمل :

ـ وإلى أقصى حد .

ولم يعلّق المقدّم (عمرو) بحرف واحد على عبارة المدير ..

فقد كان هذا هو ما يشعر به شخصيًّا ..

بالضبط ..

★ ★ ★

بالنسبة لرجل مثل (أدهم صبرى) كان أصعب جزء فى عملية (ديمونة) كلها ، هو اضطراره لقضاء كل تلك الساعات الطويلة ، فى مصاحبة الفوج الإسرائيلى ، والتقاط عشرات الصور ، لكل مكان سياحى شهير فى (باريس) ..

ومن المؤكّد أن الكل قد شعر بأنه مختلف عن ذى قبل .. عن (جاك موروني) الحقيقى ..

والعجيب أن الجميع أعزوا اختلافه هذا ، وابتعاده عن مرحه التقليدى ، إلى الخلاف الواضح بينه وبين (جيفيت) ، عندما راح كل منهما يتجاهل الآخر ، على نحو استفزازى حاد ، و (أدهم) يبدو لا مباليًا على الإطلاق ، فى قناع (موروني) ، فى حين بدت (جيفيت) عصبية غاضبة طوال الوقت ، حتى إن زميلتها (مارا) قد مالت على أذنها ، هامسة :

ـ (جيفى) .. الكل لاحظ عصبيتك .. لماذا تقاومين يا عزيزتى ؟! هيا .. اذهبى إليه مباشرة ، وقبليه أمام الجميع .. المهم أن يسامحك ، ويعود إليك .

أجابتها فى حدة :

ـ يسامحنى ؟! وماذا فعلت لأطلب منه هذا ؟! لقد كنت أقوم بواجبى ، عندما ..

تراجعت (مارا) فى دهشة ، هاتفة :

ـ عندما ماذا ؟!

أدركت (جيفيت) أنها على وشك كشف سرها ، الذى عنفها (كاهان) منذ قليل على كشفه لـ (جاك) نفسه ، فقالت فى حدة :

ـ لا عليك .. إنه أمر شخصى ، بينى وبين (جاك) .

ثم استدركت فى غضب :

ـ ولكنه لم يكن يستحق أن يرفضنى بهذه الوقاحة ، عندما ذهبت إليه فى حجرته أمس ، و ...

أدركت مرة أخرى أنها تفضح سرها هى ، وأحنقها أن ينفلت لسانها على هذا النحو فبترت عبارتها ، لتهتف فى حدة :

ـ ابتعدى عنى يا (مارا) .. ليس لك شأن بأمورى .

ابتسمت (مارا) ، وهى تقول فى خبث :

ـ فليكن يا (جيفى) .. أخبرينى فقط أنك ألقيت أمره خلف ظهرك ، وسأسعى أنا بكل كيانى إليه .

انعقد حاجبا (جيفيت) فى شدة ، فأطلقت (مارا) ضحكة عابثة ، وأضافت :

ـ إنه أشهر عازب فى (ديمونة) كلها .

ازداد انعقاد حاجبى (جيفيت) ، واحتقن وجهها بشدة بعض الوقت ، وتصاعدت فى أعماقها موجة جديدة من الغضب والعناد ، انفجرت فى شكل كلمة واحدة ، انطلقت من بين شفتيها كالرصاصة :

ـ إنه لك .

تألَّقت عينا (مارا) ، وهى تقول :

ـ هكذا .

ثم أطلقت ضحكة عابثة أخرى ، وهى تتجه نحو (أدهم) ، مضيفة :

ـ أشكرك يا عزيزتى (جيفى).. أشكرك كثيرًا .

تابعتها (جيفيت) ببصرها فى غضب ، وهى تسير فى دلال نحو (أدهم) ، وغمغمت فى سخط وثورة بلا حدود :

ـ خذيه .. إنه ليس (جاك) .. ليس (جاك) أبدًا .

قالتها ، ثم انطلقت بكل مشاعرها وانفعالاتها نحو رجل (الموساد) الإسرائيلى ..

نحو الذئب ..

(كاهان) ..

* * *

هتف (دان ميخا) ، مسئول الأمن الأوّل في مفاعل (ديمونة) بالعبارة فى غضب ، وهو يواجه رجل (الموساد) الإسرائيلى ، الذى يتحرّى أمر (جاك مورونى) ، ولوّح بالأوراق التى أمامه فى وجهه ، مستطردًا فى حدة :

ـ ما سر الجنون الذى أصابكم بغتة ، بشأن (مورونى) ؟! إنه لم يحصل على وظيفته هنا ، إلا بناءً على توصية خاصة منكم ، وبعد تحريات مكثفة ، أثبتت لكم أنه شخص نظيف ، لا غبار عليه ، وأنا أشهد ، بعد متابعتى الدقيقة له ، طوال سنوات عمله ، أنه واحد من أفضل ، وأنظف ، وأنشط الموظفين ، الذين عملوا هنا ، والذين أثاروا إعجابى واحترامى ، منذ تسلّمت وظيفتى هذه .

تنهّد رجل الموساد ، قائلاً :

ـ صدقنى يا أدون (ميخا) .. أنا نفسى أجهل لماذا يصرّ زميلنا (كاهان) على طلب هذه التحريات الإضافية ، فكل ملفاتنا تؤكّد ما قلته أنت ، من أنه لا غبار على (جاك مورونى) قط ، ولكن من يدرى ؟! ربما حدث فى (باريس) ما أثار شيئًا من شكوكه !

هتف (دان ميخا) فى حدة :

ـ وما الذى يمكن أن يحدث فى (باريس) ؟!

هزّ رجل الموساد ، كتفيه ، قائلاً :

ـ من يدرى ؟!

ثم مال نحو (ميخا) ، مستطردًا :

ـ وبالنسبة للتحريات ، فسنعتبر شهادتك ، كمسئول أمن رئيسى هنا ، كافية لتقويم الموقف ، ولكننا نطلب منك ، على الرغم من رأيك الشخصى ، أن تراقب (مورونى) بإمعان ، عند عودته إلى عمله ، وأن تولى أمره عناية أكثر من المعتاد ، باعتبار أنه موضع شك .

هتف (ميخا) مستنكرًا :

ـ موضع شك ؟!

ثم استطرد فى حدة :

ـ وما دام (مورونى) النظيف النشط قد صار موضع شك ، فلماذا لا تمنعوه من دخول المفاعل من الأساس .

هزّ رجل الموساد رأسه ، قائلاً :

- القانون لا يمنحنا هذا الحق ، دون دليل قوى .

ثم نهض من مقعده ، مضيفًا فى صرامة :

- نفذ ما أمرناك به فحسب .

انتفض (ميخا) ، قائلاً فى حدة :

- ما أمرتمونى به ؟!

تنحنح رجل الموساد ، قائلاً :

- أقصد ما طلبناه منك يا سيدً (ميخا) .

ثم انعقد حاجباه ، وهو يضيف فى صرامة شديدة :

- نفذه بمنتهى الدقة .

بدا الغضب على وجه (ميخا) ، إلا أنه لم يملك إلا أن قال فى حنق :

- سأفعل .

وعاد يلقى نفسه على مقعده ، بعد انصراف رجل المخابرات الإسرائيلى ، وهو يقول فى سخط :

- ماذا أصاب الجميع ؟!

ولكنه فى أعماقه ، قرّر أن ينفذ ما طلبه رجل الموساد بالضبط ، كاحتياط ضرورى ..

وسيراقب (موورونى) بمنتهى الدقة ، منذ عودته إلى عمله ، وحتى إشعار آخر ..

أو دليل آخر ..

* * *

زفر رجل الموساد (كاهان) فى حنق ساخط ، وهو يلقى نظرة على ساعته ، التى تشير إلى عقاربها إلى السادسة والنصف ، وأتوبيس الفوج يحملهم إلى مطعم (بون أبيتى) الشهير ، فى حى (الشانزليزيه) ، و (جينيفت) تجلس إلى جواره ، وتقول للمرة العاشرة ، فى إلحاح عصبى :

- أما زلت ترفض تصديقى ؟!

فاض صبر (كاهان) عن احتماله ، فقال فى حدة :

- ومن يصدّق امرأة غيورًا غاضبة ؟!

قالت فى غضب :

- هل تتصوّر أننى أقول هذا ، بدافع الغيرة والغضب ؟!

تطلّع (كاهان) إلــى (أدهــم) و (مــارا) ، اللذيـن يجلســان فى آخـر مقاعد الأتوبيس ، وهما يتبادلان حديثًا ضاحكًا ، وقال فى سخرية عصبية :

ـ نعم .. أتصورَّ هذا .

قالت فى حدة :

ـ خطأ يا سيِّد (كاهان) .. خطأ فظيع ، ستدفعون كلكم ثمنه يومًا ما ، وسيكون الثمن فادحًا بحق .

زفر فى ضجر وحنق ، قائلاً :

ـ (جيفيت) .. الأمور ليست ..

قاطعته فى عصبية :

ـ هل نظرت جيِّدًا إلى (جاك) ، فى الآونة الأخيرة ؟!

قال فى سخرية :

ـ بالتأكيد .

قالت فى حدة عصبية :

ـ وهل لاحظت أنه يبدو قويًا واثقًا ، بخلاف ما اعتدنـاه منه دومًا ؟!

انعقد حاجبا (كاهان) ، وذهنــه يسترجع تلقائيًّا لقائه الأوَّل مع (موروني) ، فى حجرة هذا الأخير ، وكيف بـدا له بالفعل هادئًا قويًا واثقًا على عكس كل ما يوحى به ملفه ..

وقبل حتى أن تختمر الفكرة فى رأسه ، مالت (جيفيت) نحوه ، مستطردة فى توتر :

ـ بل إنه يبدو لى أكثر قوة ، وأطول قامة .

غمغم (كاهان) فى عصبية :

ـ مستحيل !

وعلى الرغم منه ، تطلّع إلى (أدهم) بنظرة فاحصــة ، وهو يتساءل عن صحة ما تقوله (جيفيت) ، التى تـابعت فى غضب شديد :

ـ صدقنى .. هذا ليس (جاك) .

قالتهـا ونهضت مـن جواره ، وعــادت إلــى مقعدهــا ، تاركــة إياه يكاد يشــتعل فى مقعده ، وعينــاه تحدقــان فى (أدهم) بنظرة عصبية شرسة ..

وفى أعماقه ، عادت تلك الشكوك تتصاعد ، بأعنف مما كانت ..

أعنف بكثير ..

وحتى بلغ الأتوبيس ذلك المطعم الشهير فى ((الشانزليزيه))، لم يرفع (كاهان) عينيه عن (أدهم) لحظة واحدة ..

وعلى الرغم من أن هذا الأخير كان يتظاهر طوال الوقت، بالتجاوب مع (مارا) الحسناء، إلا أنه أدرك جيدًا أنتاج حديث (جيفيت) و (كاهان)، وأدرك أكثر أن عليه أن يستعد لمواجهة جديدة ..

ولكنه، وكأى لاعب شطرنج محترف، أخفى كل هذا فى أعماقه، وهو يطلق ضحكات مرحة، و (مارا) تتأبط ذراعه فى هيام، وهما يتجهان إلى المطعم الشهير، الذى سيتناول فيه الفوج الإسرائيلى وجبته الباريسية الأخيرة، قبل أن تحملهم الطائرة فى الصباح الباكر إلى (تل أبيب) ..

ولقد التف الكل حول ثلاث موائد كبيرة، تم حجزها مسبقًا، وراح (أدهم) يتظاهر بالمرح والصخب كالباقين، وعيناه تدوران فى المكان، بحثًا عن وجه مألوف ..

وفى السابعة إلا خمس دقائق بالضبط، ظهر ذلك الوجه المألوف ..

وجه هادئ قوى، لرجل أبيض البشرة، أخضر العينين، بنى الشعر، دلف إلى المكان بصحبة حسناء باريسية رائعة الحسن، التفتت إليها كل العيون فى لهفة، جعلت (مارا) تلكز (أدهم) بكوعها قائلة فى غضب:

- أنا هنا .. هل تذكرنى ؟!

ابتسم لها قائلاً:

- ومن يمكنه نسيانك يا (مارا) الحسناء ؟!

ضحكت فى دلال، وألقت رأسها على كتفه قائلة:

- ليت (جيفيت) تسمع هذا الإطراء ..

تجاهل عبارتها تمامًا، وهو يتابع الرجل والحسناء الباريسية، وهما يحتلان مائدة متميزة، فهتفت (مارا):

- أما زالت تلك الملونة تشغلك ؟!

ابتسم دون أن يجيب، واختلس نظرة إلى ساعته التى أشارت عقاربها إلى السابعة إلا خمس دقائق، وهو واثق من أنه لن يخطر ببالها أبدًا أنه يتابع الرجل وليس المرأة ..

ولخمس دقائق تالية ، تشاغل بالحديث معها ، وهو يدرك جيدًا أن (جيفيت) تراقبهما فى غضب ، فى حين يتابعهما (كاهان) بكل اهتمام وانتباه ..

وفى السابعة تمامًا ، نهض (أدهم) من مقعده ، وقال بابتسامة هادئة :

ـ لحظات وأعود .

هتفت (مارا) فى حماس :

ـ أتريدنى بصحبتك ؟!

ضحك قائلاً :

ـ لا يمكنك أن تصاحبينى ، حيثما سأذهب يا عزيزتى .

هتفت ضاحكة :

ـ آه .. فهمت .

قطع طريقه إلى حجرة الرجال فى هدوء ، وارتطم فى أثناء دخولها بصاحب العينين الخضراويين ، الذى تمتم بعبارة فرنسية عصبية ، فأجابه (أدهم) بالعبرية :

ـ معذرة .

ولكن عيونهما التقت لحظة ..

لحظة واحدة ، نقلت فى كل منهما رسالة واضحة إلى الآخر ..

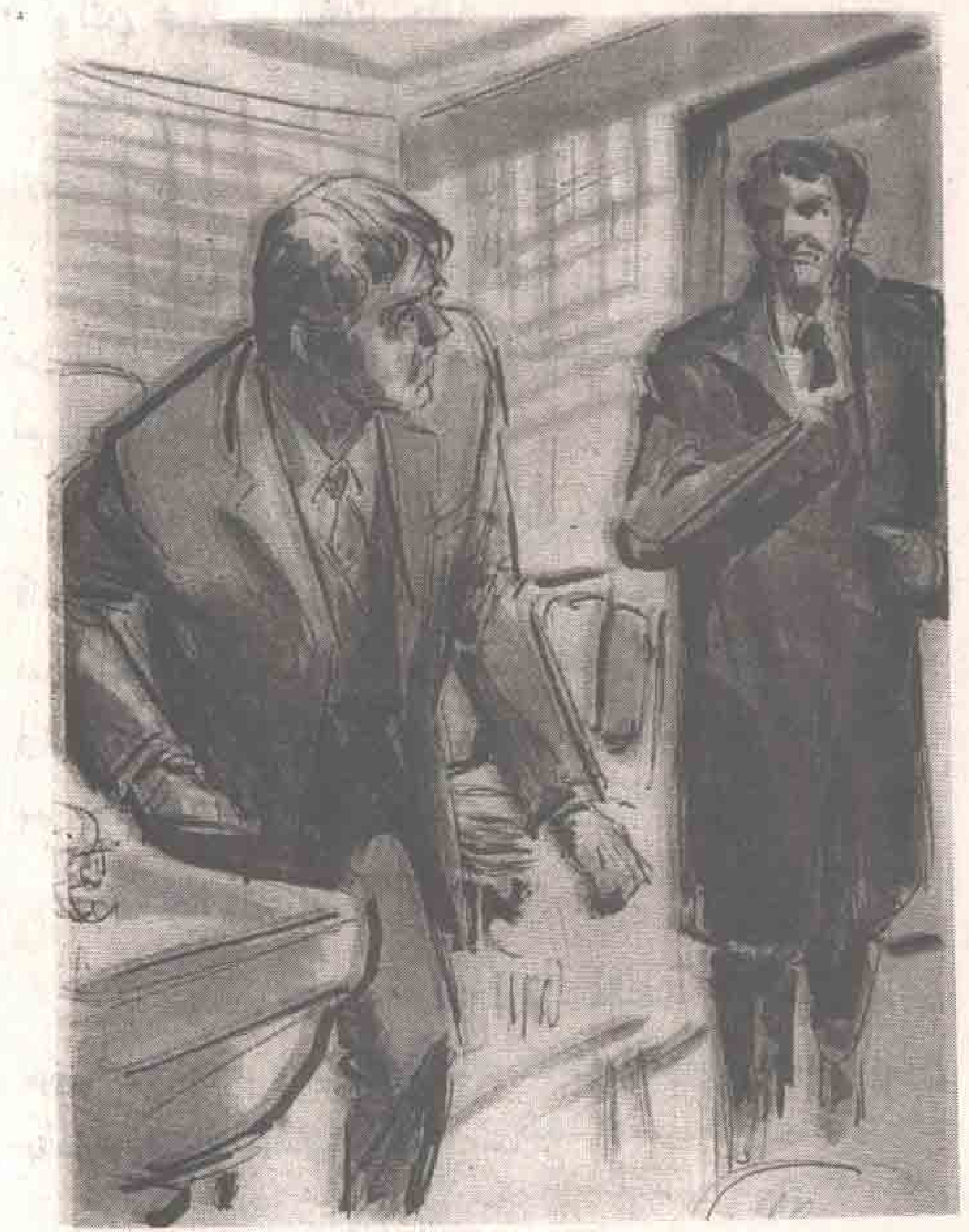
وحملت شفتاهما شبح ابتسامة ، وَلِدَ وتلاشى فى جزء من الثانية ، قبل أن يمضى كل منهما فى طريقه ، وكأنما لم يعرف أحدهما الآخر قط ..

وعندما دخل (أدهم) حجرة الرجال ،كانت خالية تمامًا ، فتحرَّك بسرعة نحو الحوض الثالث ، وانحنى يلتقط كيسًا من البلاستيك ، مثبت فى قاعه بشرائط لاصقة قوية ، وألقى نظرة سريعة عليه ، قبل أن يدسه فى جيبه فى سرعة ، و ...

« ما هذا بالضبط ؟! »

دوى الهتاف من خلفه فى قوة ، فالتفت إلى مصدره فى حركة سريعة ، والتقى حاجباه بحركة عفوية ، عندما وقع بصره على (كاهان) ..

وعلى عينى (كاهان) ..



دوى الهاتف من خلفه فى قوة ، فالتفت إلى مصدره فى حركة سريعة ، والتقى حاجباه بحركة عفوية ، عندما وقع بصره على (كاهان) ..

فلقد كانت عينا ضابط الموساد الإسرائيلى تحملان نظرة شرسة متحفزة ، وهو يحدّق مباشرة فى جيب (أدهم) ، حيث وضع ذلك الكيس الذى يحوى القفاز ورسالة المخابرات المصرية ..

وكان هذا تطورًا مباغتًا فى الأمر ..

مباغتًا وخطيرًا..

للغاية .

* * *

٨ ـ الثعلب والذئب ..

بذل المقدّم (عمرو) جهدًا خرافيًّا ليبدو هادئًا مرحًا ، مع تلك الحسناء الباريسية الفاتنة ، فى مطعم (بون أبيتى) على الرغم من أن انتباهه كله كان مركزًا على المدخل الذى يقود إلى حجرة الرجال ، والذى شاهد (كاهان) يتجه إليه فى سرعة متوترة منذ لحظات قليلة ..

كان قد بلغ المطعم بصعوبة ، فى الوقت المتفق عليه ، بعد أن تأخّر هبوط طائرته ساعة كاملة ، لسوء الأحوال الجوية ، وساعدته ملامحه ، التى توحى بأنه من أصل أوروبى ، على انتحال شخصية ثرى فرنسى ، ودخول المطعم على نحو لا يمكن أن يتطرّق إليه أدنى شك ، حتى يتمكّن من وضع القفاز مع الرسالة المشفرة ، فى المكان الذى تم اختياره مسبقًا ، فى تلك الليلة التى انتحل فيها (أدهم) شخصية (مورونى) ..

ولأنه يعرف من هو (كاهان) بالضبط ، بحكم دراسته لكل ما يتعلّق بهذا الفوج السياحى الإسرائيلى ، فقد شعر بقلق بالغ ، عندما رآه يلحق بـ (أدهم) ، بكل هذه اللهفة وهذا التوتر ..

وبكل قلقه ، تحسَّس مسدسه ، المختفى تحت سترته ، وانعقد حاجباه فى صرامة ، وهو يتخذ واحدًا من أخطر القرارات فى حياته ..

إنه لن يسمح لرجل المخابرات الإسرائيلى بالمساس بـ (أدهم صبرى) ..

لن يسمح له بإفساد عملية (ديمونة) ، التى بذلوا فيها كل هذا الجهد ..

حتى لو اضطر لقتل (كاهان) هذا ..

وبلا رحمة ..

راح عقله يدير هذا الاحتمال مرات ومرات ، وتحفَّزت كل خلية فى جسده ، وهو يلقى نظرة على ساعته ، وقراره يختمر فى كيانه أكثر وأكثر ..

سيمنح (أدهم) خمس دقائق ..

خمس دقائق فقط ، ليخرج من هذا الموقف وحده ..

وإلا ..

فى نفس اللحظة التى دارت فيها هذه الأفكار العصبية فى ذهنه ، كان (أدهم) يواجه (كاهان) فى توتر مدروس ، قائلاً :

ـ ما الذى تتحدَّث عنه يا أدون (كاهان) ؟!

أشار (كاهان) إلى جيبه ، وهو يتقدَّم نحوه فى شراسة ، قائلاً :

ـ أتحدَّث عن ذلك الشىء ، الذى التقطته من أسفل (الحوض) ووضعته فى جيبك .

هتف (أدهم) فى دهشة ، نجح فى رسمها على ملامحه كلها ببراعة رائعة :

ـ التقطته من أسفل الحوض ؟!

ثم أخرج يده من جيبه ، مستطردًا فى حدة مستنكرة :

ـ إنه منديلى يا أدون (كاهان) .. كنت أجفِّف به يدى ، فسقط من أسفل الحوض ، و....

قاطعه (كاهان) فى شراسة :

ـ لا تحاول خداعى .

تراجع (أدهم) كالمصعوق ، هاتفًا :

ـ خداعك ؟!

ثم عاد يندفع نحو (كاهان) ، صائحًا بكل عصبية ، وبصوت رجل يوشك على البكاء :

ـ ماذا أصابك يا سيِّد (كاهان) ؟! لماذا أنا بالذات ؟! لماذا تضطهدنى على هذا النحو ؟!

وانتفض جسده ، وهو يضيف فى حدة غاضبة :

ـ عندما نعود إلى (إسرائيل) سأتقدَّم بشكوى ضدك ، وسأتهمك بإفساد إجازتى كلها ، و....

استل (كاهان) مسدسه من حزامه فى سرعة ، قبل أن يتمَّ (أدهم) عبارته ، وألصقه بعنق (أدهم) صارخًا :

ـ لا تحاول خداعى .

التصق (أدهم) بالجدار ، وراح يرتجف ، كما سيفعل (مورونى) الأصلى فى موقف مماثل ، وهو يهتف فى ارتياع :

ـ ماذا أصابك يا أدون (كاهان) ؟!

صرخ فيه (كاهان) فى شراسة :

ـ أفرغ جيوب سترتك .

حدَّق (أدهم) فى وجهه ، هاتفًا :

ـ أفرغ ماذا ؟!

صرخ (كاهان) :

ـ جيوب سترتك .. هيا .

دس (أدهم) كفيه فى جيبى سترته ، وأدار عينيه فيما حوله ، فهتف به (كاهان) :

ـ ماذا تنتظر ؟!

أجابه فى توتر :

ـ أبحث عن شىء ، أفرغ جيوبى عليه .

مدَّ (كاهان) يده إليه فى صرامة ، قائلاً :

ـ أعطنى كل ما تحمله .

أخرج (أدهم) كفيه ، ووضع فى يد (كاهان) مفاتيح حجرته بالفندق ، ومنديله ، وبعض أوراق الدعاية ، ومجموعة من العملات المعدنية الصغيرة ..

وبدهشة مستنكرة ، حدَّق (كاهان) فى هذه الأشياء ، قبل أن يصيح فى وجهه ، وهو يلصق فوهة مسدسه بعنقه مرة أخرى :

ـ قلت كل ما فى جيوبك ؟!

هتف (أدهم) :

ـ هذا كل ما فى جيوبى يا أدون (كاهان) .

انعقد حاجبا (كاهان) فى شك غاضب ، ثم اندفع نحوه ، وألقى ما يحمله بيده أرضًا ، ليدسَّها فى غلظة وخشونة ، فى جيب (أدهم) قبل أن يجذبها ، ويتراجع بحركة حادة كالمصعوق ، هاتفا :

ـ إنها خالية .

هتف (أدهم) فى عصبية :

ـ هذا ما أخبرتك به .

ارتبك (كاهان) ، وهو يشير إلى الحوض ، قائلاً فى توتر :

ـ ولكننى رأيتك ، و....

بتر عبارته بغتة ، وعضَّ شفته السفلى فى عصبية ، فهتف (أدهم) :

ـ لماذا تعاملنى بهذا الأسلوب ؟!

رفع (كاهان) عينيه إليه فى حركة حادة ، وقال فى شراسة :

- قل لى أنت أولاً : كيف يمكن أن تبدو أكثر ثقة وقوة .. بل وأكثر طولاً ، على هذا النحو المباغت ؟!

هزّ (أدهم) رأسه فى قوة ، قائلاً :

- أى قول عجيب هذا يا أدون (كاهان) .. المرء لا يزداد طولاً هكذا ، بعد أن يبلغ مرحلة النضج الكامل .. كل ما فى الأمر أننى أمارس بعض الرياضة فى الآونة الأخيرة .. هذا كل ما يمكننى قوله .

عضّ (كاهان) شفته السفلى مرة أخرى ، وغمغم فى عصبية :

- هيا .. اجمع ما سقط منك ، والحق بنا ، لنتناول طعام العشاء معًا .

ثم استعاد صرامته الشرسة بغتة ، وهو يضيف :

- ولا داعى لأن يعلم الكل بما حدث هنا .

غمغم (أدهم) ، وهو ينحنى ليجمع ما ألقاه (كاهان) أرضًا :

- بالتأكيد .

استدار (كاهان) ، وغادر المكان فى شىء من الحدة ، فى حين اعتدل (أدهم) وتألقت عيناه فى حيوية ساخرة ، وهو يتمتم :

- من سوء حظك أننى أهوى ألعاب الحواة منذ حداثتى أيها الوغد ..

ومع قوله ، انزلق الكيس البلاستيكى ، الذى يحوى القفاز والرسالة المشفرة ، من كم سترته إلى كفه ، فدسّه فى جيبه فى هدوء ، ولكنه توقّف ثابتًا مفكرًا بضع لحظات ، قبل أن يغمغم فى حزم :

- ولكنك ستدفع ثمن كل هذا .. هذا وعد .

وفى الخارج ، تضاعف توتر المقدّم (عمرو) ، عندما اندفع (كاهان) خارج حجرة الرجال كالعاصفة ، والتوتر يملأ كل ذرة فى كيانه ، ويسفر عن نفسه فى وضوح شديد ، حتى فى محاولته إخفاء انفعاله ، وهو ينضم مجددًا للفوج السياحى ..

ولوهلة ، فكّر (عمرو) فى أن يستلّ مسدسه ، ويطلق النار عليه مباشرة ، إلا أن خبرته كضابط مخابرات محنك جعلته يسيطر على رغبته ومشاعره ، ويجلس هادئًا فى مقعده ، وعيناه معلقتان بممر حجرة الرجال ، و....

وأخيرًا ظهر (أدهم) ..

وعندما ظهر ، تعلَّقت عينا (عمرو) بوجهه فى لهفة ، محاولة قراءة ما يشفَّ عنه ..

ولكن وجه (أدهم) كان جامدًا ، هادئًا ، وهو يعبر إلى جواره دون أن يلقى عليه ولو نظرة واحدة ، متجهًا إلى إحدى موائد الفوج الثلاث .

وفى مرح ، هتفت به (مارا) :

ـ لماذا كل هذا الوقت ؟! هل تستخدمون أدوات الزينة مثلنا أيها الرجال ؟!

ابتسم ، قائلاً :

ـ كلاً .. بعض الأشياء سقطت من جيبى ، واحتاجت لبعض الوقت لجمعها .

اختلس نظرة ، وهو يلقى عبارته هذه ، على (كاهان) الذى يجلس عند المائدة المجاورة ، فأشاح هذا الأخير بوجهه ، وأطلق زفرة عصبية محنقة ، جعلت (أدهم) يبتسم ، متابعًا :

ـ ولكن كل شىء على ما يرام .. تمامًا .

التقط المقدَّم (عمرو) ابتسامته ، وقرأ العبارة على شفتيه من بعيد فشعر بالارتياح ، على نحو جعله يتمتم بصوت خافت للغاية :

ـ حمدًا لله .

وعلى الرغم من هذا ، لم يمكنه أن يرفع عينيه عن مائدة (أدهم) طوال الوقت ، وهو يتشاغل بالحديث مع حسنائه الباريسية ، حتى انتهى الفوج الإسرائيلى من تناول عشائه ، وانصرف من المكان ..

ولكن (كاهان) وحده بقى ..

وبمنتهى الاهتمام ، راح (عمرو) يختلس النظر إلى (كاهان) ، الذى تلكأ عمدًا ، حتى انصرف الكل ، عائدين إلى أتوبيس الفوج ، ثم تلفَّت حوله ، و....

وانعقد حاجبا المقدَّم (عمرو) فى شدة ، فما فعله (كاهان) كان يهدِّد أمن وسلامة (أدهم) ..

وعلى أخطر نحو ممكن ..

* * *

« مرحبًا بك فى (إسرائيل) يا سنيور (روماريو) .. »

رسم ضابط الجوازات الإسرائيلى على شفتيه ابتسامة كبيرة واسعة ، وهو يقول العبارة ، ويعيد جواز السفر إلى (حازم) ، الذى ابتسم بدوره ، وهو يجيب بإيطالية سليمة تمامًا :

ـ إنها أوّل زيارة لى إلى (إسرائيل) ، وأتمنّى أن تمضى فى سلام .

قال ضابط الجوازات فى حزم :

ـ (إسرائيل) مكان آمن تمامًا ، على عكس ما يشاع يا سنيور (روماريو) ، وستكتشف هذا بنفسك ، مع إقامتك هنا .

دسّ (حازم) جواز سفره فى جيبه ، قائلاً :

ـ أنا واثق من هذا .

حمل حقيبته الوحيدة الأنيقة ، وغادر مطار (تل أبيب) فى هدوء وتؤدة ، وتوقّف لحظة أمامه ، ليشير إلى واحدة من سيارات الأجرة ، فاتجهت نحوه واحدة ، بدت وكأنها كانت تنتظر أوّل من يغادر المطار ، فمال نحو سائقها ، قائلاً :

ـ هل يمكنك السير بسرعة ألف كيلومتر فى الساعة ؟!

أجابه السائق فى جدية :

ـ هذا لو أنك مستعد لدفع الأجر مضاعفًا .

فتح (حازم) باب السيارة ، قائلاً :

ـ بالتأكيد ، عندما نصل إلى الجانب المظلم للقمر .

ابتسم السائق ، وهو ينطلق بالسيارة ، حتى ابتعد قليلاً عن المطار ، فقال بالعربية ، وبلهجة فلسطينية خالصة :

ـ حمدًا للّه على سلامتك يا سيِّدى .. كيف حال مصر والمصريين ؟!

أشار (حازم) بيده قائلاً بالعربية :

ـ لذة النصر ما زالت تنعشهم يا رجل .

أومأ السائق برأسه موافقًا ، وقال :

ـ لقد رفعتم رءوسنا جميعًا أيها المصريون والسوريون .

ربَت (حازم) على كتفه ، قائلاً :

ـ إنها مجرّد بداية يا صديقى .

ثم تراجع فى مقعده ، وسأله فى اهتمام :

ـ ما أخبار الحاج (غسان) ؟!

أجابه السائق فى احترام :

ـ الحاج ينتظرك فى المكان الذى اتفقتما عليه .

سأله (حازم) ، وهو يسترخى فى مقعده :

ـ متى سنصل إليه بإذن الله ؟!

أجابه السائق فى هدوء :

ـ المسافة تحتاج إلى عشر دقائق فحسب ، ولكننا سندور لربع ساعة أخرى ، فى شوارع (تل أبيب) ، حتى نتيقن من أن أحدًا لن يتبعنا إلى هناك .

أسبل (حازم) جفنيه ، وهو يغمغم :

ـ عظيم .. أيقظنى إذن ، عندما نصل إلى الحاج (غسان) .

بدا فى استرخائه ، وعينيه المغلقتين ، وكأنما استغرق بالفعل فى سبات عميق ، ولكن الواقع أن ذهنه كان حاضرًا يقظًا ، وهو يراجع الجزء الخاص به من الخطة بمنتهى الدقة ..

لقد تأكد من أن الشحنة قد سبقته إلى (تل أبيب) ، وتم الإفراج عنها بالفعل ، بعد مراجعة كل أوراقها ، التى تم إعدادها فى المخابرات العامة المصرية بدقة مدهشة ..

ووفقًا للنظم المتبعة فى (إسرائيل) ، سيتم إرسالها إلى حيث تستقر ، خلال ساعتين فحسب ..

وهذا يعنى ضرورة أن تبدأ العملية فورًا .

ودون إبطاء ..

استرخى أكثر وأكثر فى مقعده ، وراح يراجع الخطة مرة ..

ومرة ..

ومرات ..

و....

« وصلنا يا سيِّدى .. »

انتزعه السائق من أفكاره بالعبارة ، فاعتدل فى مقعده بنشاط مباغت ، وغادر السيارة ، ووقف يتطلع إلى المنطقة المهجورة الساكنة الصامتة ، ولسان حاله يتساءل عن الحاج (غسان) ..

وفى هدوء ، أشار السائق بيده ، قائلاً :

ـ تفضّل .

سارا معًا وسط أحراش كثيفة ، حتى بلغا منطقة أطلال قديمة مهملة ، فغمغم (حازم) مبتسمًا :

ـ هل توجد أطلال كهذه ، فى قلب (تل أبيب) ؟!

غمغم السائق ، وهو يتجه نحو جدار نصف متهدّم :

ـ كل مكان فى (إسرائيل) به أطلال .

وضغط جزءًا خفيًا من الجدار ، مضيفًا :

ـ حتى قلوبهم .

ابتسم (حازم) ، قائلاً :

ـ سائق وفيلسوف .. يا له من مزيج !

انزاح جزء من الجدار فى نعومة ، كما يحدث فى أفلام السينما ، وكشف ممرًا قصيرًا ، مضاءً بإضاءة خافتة فارتفع حاجبا (حازم) ، وغمغم :

ـ عجبًا ! هل تشاركون فى إنتاج أفلام (جيمس بوند) أم ماذا ؟![*]

أجابه السائق ، وهو يدعوه للدخول :

ـ إنه مجرَّد محركٍ هيدروليكى تقليدى .

دلف (حازم) إلى الممر ، وأغلق السائق الباب الخفى خلفهما ، وسارا معًا لمترين أو ثلاثة ، قبل أن يطرق الرجل بابًا داخليًا ، ويقول :

ـ ضيف (القاهرة) يا حاج .

وفتح الباب ، وهو يشير إلى الداخل ، قائلاً لـ (حازم) :

ـ تفضّل .

خطا (حازم) داخل حجرة واسعة ، مضاءة بأنوار قوية ، وبداخلها ثلاثة رجال ، يلتفون حول مجلس عربى تقليدى ، ولقد نهض ثلاثتهم لتحيته ، وصافحه كبيرهم الحاج (غسان) ، وهو يقول :

(*) (جيمس بوند) : شخصية خيالية ، ابتكرها عقل المؤلف البريطانى ، ورجل المخابرات السابق (آيان فلمنج) ، وهى لرجل مخابرات إنجليزى ، يعمل فى خدمة حكومة الملكة ، ويمتلك قدرات فذة ، تؤهله لخوض مغامرات مدهشة ، ومع خصوم بنفس قوته وقدراته ، ولقد نجحت الشخصية فى عالم السينما ، بأكثر مما نجحت فى عالم الأدب ، و لقد تعاقب على تمثيلها عدد من الممثلين ، من أشهرهم (شين كونورى) ، و (بيرس بروسنان) .

- مرحبًا بك فى (فلسطين) المحتلّة يا ولدى .

قال (حازم) فى هدوء :

- أهلاً بك وبرفاقك يا حاج .

دعاه الحاج (غسان) إلى الجلوس ، وهو يسأله فى اهتمام :

- دون أن نضيع الوقت فى المجاملات .. أخبرنى ما المهمة العاجلة ، التى تطلبها منا (القاهرة) ؟!

اعتدل (حازم) فى مقعده ، واختلس النظر إلى الرجلين الآخرين ، والسائق الذى لم يغادر الحجرة ، فابتسم الحاج (غسان) ، قائلاً :

- هؤلاء الثلاثة هم موضع سرى ، ويدى التى أنفذ بها كل مطالب (القاهرة) يا ولدى .

تنهّد (حازم) قائلاً :

- فليكن .

ثم مال نحوه متابعًا :

- الواقع أننا نحتاج إليكم فى عملية تهريب يا حاج .

بدت الدهشة على وجوه من بالحجرة ، فيما عدا الحاج (غسان) الذى قال فى حذر زائد :

- عملية تهريب ؟!

قال (حازم) :

- نعم .. وعملية عاجلة للغاية ، لا بد أن تتمّ قبيل الفجر .

تضاعفت دهشة الحاضرين ، وهتف أحدهم مستنكرًا :

- مستحيل !

أما الحاج ، فقد انعقد حاجباه فى تفكير عميق ، وهو يقول فى حذر أكثر :

- لن أسألك عن وجه العجلة يا ولدى ؛ لأننى واثق من أنك لن تخبرنى أبدًا ، ولكن ينبغى أن تعلم أن عمليات التهريب تحتاج إلى إعداد طويل ، وإلى دراسة للتغيرات الأمنية فى الحدود ، و....

قاطعه (حازم) فى سرعة :

- لن يحتاج الأمر إلى أية حدود .

وقبل أن تتضاعف دهشتهم ، مال نحو الحاج (غسان) مضيفًا :

ـ ما نريد تهريبـه ، عَبَرَ حدود (إسرائيل) بالفعل ، ويستقر داخلها الآن .

جاء دور الحاج ، ليرتفع حاجباه فى دهشة بالغة ، وهو يهتف :

ـ داخل (إسرائيل) ؟! ولماذا تحتاجون إلينا ، لتهريب أسلحة من (إسرائيل) إلى (إسرائيل) ؟!

ابتسم (حازم) وهو يعتدل فى مجلسه ، قائلاً :

ـ ما نريد تهريبه ليس أسلحة يا حاج (غسان) .

حمل صوت الحاج طنًا من الشغف ، وهو يسأل :

ـ ما هو إذن ؟!

صمت (حازم) لحظة ، ثم أجاب فى حسم :

ـ جثة .

وفى هذه المرة تفجَّرت الدهشة كقنبلة ..

أو أشدَّ عنفًا ..

* * *

وضع (كاهان) أصابعه داخل ذلك الكوب ، الذى التقطه من مائدة (أدهم) ، فى مطعم (بون أبيتى) ، وفردها فى قوة ، ليحكم إمساكه من الداخل ، وهو يرش عليه نوعًا خاصًا من المسحوق ، وهو يغمغم :

ـ هذا سيحسم أمرك تمامًا يا (مورونى) .

والتقط من جواره فرشاة صغيرة ، نفض بها المسحوق فى حرص ، حتى ظهرت على الكوب بصمات واضحة ، فتألقت عيناه فى ظفر ، وهو يغمغم :

ـ عظيم .

وضع الكوب على المائدة ، وجذب قطعة من شريط لاصق خاص ، وأمسكها فى حرص ، وألصقها على البصمات الواضحة على الكوب ، ثم جذبها فى رفق ، واعتدل يلصقها على ورقة بيضاء ناصعة ، وتطلع إليها فى اهتمام ، قبل أن يقول :

ـ نتيجة رائعة .

وضع الورقة داخل جهاز (فاكس) نقَّال فى حرص ، ثم التقط سمَّاعته ، وطلب رقمًا دوليًا ، ولم يكد يسمع صوت محدِّثه ، حتى قال فى لهفة :

ـ أنا (كاهان) .. (م ـ ٦٠٧) .. اسمعنى جيدًا .. سأرسل إليك الآن مجموعة من البصمات لشخص واحد .. أريدك أن تفحصها فور وصولها ، وتبلغنى باسم صاحبها ، بأسرع وقت ممكن .

قالها ، وضغط زر إرسال الفاكس ، وشاهد الورقة التى تحمل بصمات (أدهم) ، وهى تغوص فى الجهاز فى بطء ، لتبرز من قاعدته فى تتابع هادئ ، استغرق دقيقة كاملة ، قبل أن يُصدر الجهاز أزيزًا خافتًا ، وينتظر بضع لحظات أخرى ، ثم تخرج منه ورقة رفيعة ، تؤكِّد أن الفاكس قد وصل إلى جهة الاستقبال سالمًا ..

وبانفعال عجيب ، التقط (كاهان) تلك الورقة الرفيعة ، وتطلَّع إليها لحظة ، ثم ألقاها على المائدة ، مغمغمًا فى توتر :

ـ هذا وحده سيحسم أمرك يا (مورونى) .. تمامًا ..

فى نفس اللحظة التى نطق فيها عبارته ، كان (أدهم) يغلق باب حجرته من الداخل فى إحكام ؛ حتى لا تباغته (جيفيت) مرة أخرى ، أو تحتل (مارا) موضعها ، وتجبره على الإبقاء على ذلك القناع المطاطى ، الذى يحمل وجه (مورونى) أكثر من هذا ..

وفى حرص ، أمام مرآة الحمام ، راح ينزع القناع عن وجهه ، ثم وضعه جانبًا فى عناية ، وهو يغسل وجهه بالماء البارد ، مغمغمًا :

ـ يا للسخافة ! كل هذا الوقت لانتحال شخصيتك أيها الإسرائيلى ..

كم ترهقنى هذه الأقنعة ، التى تلتصق بوجهى تمامًا .

كان يعدّ الساعات ، حتى تحملهم الطائرة ، فى الصباح الباكر ، إلى (تل أبيب) ..

فوفقًا لبرنامج العمل ، كان ينبغى له أن يعود إلى العمل فى (ديمونة) ، فى السادسة من مساء اليوم نفسه ..

وبالنسبة إليه ، كان هذا أفضل بالتأكيد ..

على الأقل سيمكنه أن يؤدى مهمته ، ويحصل على المعلومة التى يريدها ، ويغادر المفاعل كله ، فى أقصر وقت ممكن ، و....

فجأة ، تناهى إلى مسامعه صوت خافت ، داخل حجرته ، فأسرع يطفئ الضوء وهو يغمغم :

ـ ليس .. فى كل ليلة .

أرهف سمعه جيِّدًا ، وهو يقترب من باب الحمام فى حذر ، ولكن أرضية الحجرة المفروشة بالموكيت السميك ، كانت تحجب أية حركة عن مسامعه ، و....

ولكن فجأة ، شعر بحركة واضحة ، على مسافة سنتيمترات من باب الحمام ، فتحرَّك نحوه فى سرعة ، محاولاً إغلاقه ..

ولكن ، وعلى الرغم من سرعته المدهشة ، فإن الوقت لم يسعفه قط ..

ففجأة ، وقبل أن يبلغ الباب ، سطع ضوء مصباح قوى فى وجهه ، مع صوت حازم يقول :

ـ آه .. كنت واثقًا من أننى سأجدك هنا .

ولم يكن هناك ما يمكن فعله ..

فعلى نحو لا يصلح معه التخفى أو التبرير ، كان ضوء المصباح القوى يغمر وجهه تمامًا ..

وجهه الحقيقى .

* * *

٩ ـ إسرائيل ..

« تبًّا لتلك المأفونة (جيفيت) .. »

هتف (كاهان) بالعبارة فى أعماقه ، وهو يجلس على مقعده ، فى تلك الساعة المتأخرة من الليل ، فى انتظار وصول ما يبلغه بنتائج فحص البصمات ، التى يعتمد عليها ، لحسم أمر (جاك موروني) ، وإنهاء هذه الحالة المتوترة ، التى أفسدت عليه أيضًا متعة رحلة (باريس) ..

لقد استمع إلى امرأة غيور ، وهو يستحق كل ما حدث ..

ولكن مهلاً .. عندما أبلغت (جيفيت) عن (موروني) لأوَّل مرة ، لم يكن الخلاف قد دبّ بينهما بعد ..

وهذا يعنى أنه كانت لديها شكوك بالفعل ..

شكوك حقيقية ..

ولا ينبغى له أبدًا أن يهمل شكوك امرأة ، تجاه رجل تعشقه ..

ولا يمكن أبدًا أن يهمل قولها ، عندما تؤكِّد أنه شخص مختلف ..

فالمرأة لا تخطئ تعرُّف رجلها أبدًا ..

مهما حدث ..

اعتدل فى مقعده متوترًا ، وأفكاره تتتابع فى توتر عصبى ..

صحيح أنها لم تنتقل إلى مرحلة الشك فى شخصيته ، إلا بعد أن رفض ملامستها فى حجرته ، عقابًا لها عن الإبلاغ عنه ، ولكنه اتهام ليس من السهل أن تتهم به امرأة رجلاً ما ..

وخاصة صاحبها السابق ..

ثم إنه بدأ يشعر بالفعل أن (موروني) مختلف ..

صحيح أن وجهه لم يتغيَّر قط ، وما زال هو (موروني) نفسه ، الذى قرأ ملفه أكثر من عشر مرات ، إلا أن كل شىء آخر فيه يبدو مختلفًا ..

قامته ..

قوته ..

ثقته ..

صدره العريض ..

كل شىء ..

و(موروني) يُعزى هذا إلى ممارسته الرياضة فى الآونة الأخيرة ..

وربما كان هذا صحيحًا ..

وربما لا ..

نتائج فحص البصمات وحدها ستحسم هذا ..

ارتفع أزيز جهاز الفاكس بغتة ، عندما بلغ هذه المرحلة من التفكير فوثب من مقعده فى لهفة ، واستدار إليه بكل حواسه ، وخفق قلبه فى عنف ، وهو يتابع الورقة المطبوعة ، التى تخرج منه فى بطء ، حتى اكتمل خروجها ، فاختطفها فى لهفة ، والتهم كلماتها القليلة بعينيه فى لحظة واحدة ، قبل أن ينعقد حاجباه فى شدة وغضب ..

فقد جاءت نتائج فحص البصمات حاسمة بالفعل ..

ومفاجئة أيضًا ..

وبشدة ..

* * *

باسل
Www.dvd4arab.com

على الرغم من أن الضوء كان يغشـى عينى (أدهـم) تمامًا ، إلا أن أذنيه ميزتا الصوت بدقة ، فقـال فـى دهشـة متوترة :

ـ سيادة المقدّم ؟! لم يكن ينبغى أن تأتى إلى هنا أبدًا .. إنها مخاطرة شديدة ، فلو لمحك أحدهم ، لفسـدت الخطـة كلها ، وخاصة بعدما رأوك مع تلك الباريسـية ، فى مطعم (بون أبيتى) .

مدَّ المقدم (عمـرو) يـده ، وأضـاء مصبـاح الحمـام ، وهو يطفئ مصباحه اليدوى ، قائلاً :

ـ كانت هذه أكثر الوسائل أمنًا للوصول إليك وتحذيرك .

قال (أدهم) فى حذر :

ـ تحذيرى من ماذا ؟!

مال المقدّم (عمرو) نحوه ، قائلاً :

ـ من رجـل الموسـاد المصـاحب للرحلـة .. لقد تركـكم تنصرفون ، ثم التقط الكوب الذى أمامك فى حرص ، علـى نحو يوحى بأنه يسعى لرفع ما عليه من بصمات .

غمغم (أدهم) فى خفوت :

ـ كنت أتوقَّع شيئًا كهذا .

قال المقدّم (عمرو) فى توتر :

ـ كان ينبغـى أن أحـذرك بأيـة وسيلة ، والهـاتف ليس وسيلة اتصـال آمنـة ، فـى مثل هذه الظروف ، لـذا فقـد تسلَّلت عبر النافذة كاللصوص ؛ للوصول إلى هنا .

ربَّت (أدهم) على كتفه ، قائلاً :

ـ اطمئن يا سيِّدى .. قلت لك : إننـى كنـت أتوقَّـع شيئًا كهذا ، من رجل مثل (كاهان) .

قال المقدّم (عمرو) فى عصبية :

ـ ما دمت تتوقَّعه ، كان ينبغى أن تتحاشى ترك بصماتك على أى شىء .

ابتسم (أدهم) ، قائلاً :

ـ على العكس .. مع رجل مثل (كاهان) ، كان ينبغـى أن أترك بصماتى على كل ما يمكننى .

ثم رفع يده ، مستطردًا :

ـ ما دمت قد ارتديت ذلك القفـاز ، الـذى أحضرتـه أنـت من (القاهرة) .

حدّق المقدّم (عمرو) فى يده لحظة ، فى شىء من الدهشة ، قبل أن يطلق ضحكة مكتومة ويربّت على كتف (أدهم) فى حرارة ، قائلاً :

ـ إذن فقد تركت له بصمات (مورونى) على كل شىء .. يا لك من ثعلب .

اتسعت ابتسامة (أدهم) فى صمت ، فتنهّد المقدّم (عمرو) ، وتطلع إليه بضع لحظات ، قبل أن يقول :

ـ (أدهم) .. هذه آخر مرة أراك فيها ، قبل ذهابك إلى (إسرائيل) .. مهمتك ليست بسيطة أبدًا ، وأنت تعلم هذا ، ولكننى واثق من أنك ستؤدى الأمر بأبرع وسيلة ممكنة .

غمغم (أدهم) :

ـ سأبذل قصارى جهدى يا سيّدى .

ابتسم المقدّم (عمرو) ، قائلاً :

ـ لقد بدأت أحب هذه العبارة ..

وتطلّع إليه بضعِ لحظات أخرى فى صمت ، قبل أن يمدّ يده ليصافحه ، قائلا :

ـ سأنتظر عودتك سالمًا من (إسرائيل) .

قال (أدهم) ، وهو يصافحه فى حرارة :

ـ بإذن اللّه .

وفى لحظة واحدة ، ودون اتفاق مسبق ، قفز ذهناهما إلى منطقة الخطر الحقيقية ..

إلى (إسرائيل) ..

* * *

ظلّ (كاهان) يتحاشى الالتقاء بـ (أدهم) طوال الوقت ، منذ اجتمع الفوج بحقائبه فى بهو الفندق ، وحتى حملهم الأوتوبيس إلى مطار (أورلى) ، ولكن عندما استقرّ بهم المقام داخل طائرة (العال) الإسرائيلية ، اتجه رجل الموساد نحو (أدهم) مباشرة ، ومدّ يده ليصافحه ، قائلاً فى توتر :

ـ أتعشّم أن تكون قد قضيت رحلة سعيدة فى (باريس) يا أدون (مورونى) .

صافحه (أدهم) فى جفاء ، قائلاً :

ـ كان هذا حلمى فى الواقع ، ولكن ....

قاطعه (كاهان) فى توتر أكثر :

ـ دعنا ننس تلك السخافات ، التى سببتها تلك المأفونـة (جيفيت) ، فكل منا كان يؤدى واجبه .. أليس كذلك ؟!

غمغم (أدهم) بنفس الجفاء :

ـ بالتأكيد .

ازدرد (كاهان) لعابه ، قائلاً :

ـ بعد رحلة لطيفةٍ كهذه ، لا ينبغى أن يخسر أحـد .. أليس كذلك ؟!

أطلقت (مارا) ضحكة عابثة ، وتعلَّقت بذراع (أدهم) فى تشبث ، هاتفة :

ـ أظننى ربحت فى هذه الرحلة .

تطلَّع إليهـا (أدهم) لحظـة فى صمت ، قبل أن يدير عينيه إلى (كاهان) ، قائلاً :

ـ اطمئن يا أدون (كاهان) .. ليس بنيتـى تقديم أية شكاوى ، عندما نعود إلى (إسرائيل) .

تهلَّلت أسارير (كاهان) ، وهو يتراجع ، قائلاً :

ـ بالتأكيد يا أدون (مورونى) .. بالتأكيد .

قالها ، وعاد مسرعًا إلى مقعده ، فأطلقت (مـارا) ضحكة عابثة أخرى ، وقالت وهى تحتضن ذراع (أدهم) أكثر :

ـ إنها أوَّل مرة أرى فيها أحـدهم ، يـذل ناصيـة أحـد رجال الموساد .

قال (أدهم) فى هدوء :

ـ هو الذى أذل ناصية نفسه .

ضحكت مرة أخرى ، ثم مـالت عليـه ، هامسة بصوت أشبه بالفحيح :

ـ والآن ماذا عن خططنا المستقبلية ؟!

سألها بابتسامة هادئة :

ـ ماذا عنها ؟!

قالت فى لهفة واضحة :

ـ إننى أتلهف لأن نلتقى أكثر هناك .. فى (إسرائيل) .. ولأن أحلّ محل (جيفيت) .

قال فى حذر :

ـ أنت تعلمين أننى سأعود إلى العمل بعد وصولنا بساعات قليلة .

غمزت بعينيها ، متسائلة فى خبث :

ـ وماذا عن الغد ؟! أعنى ليل الغد .

فوجئت به يطلق ضحكة قصيرة ، قبل أن يقول بابتسامة كبيرة :

ـ غدًا سأكون كلى لك يا عزيزتى (مارا) .

تهلّلت أساريرها ، وهى تهتف :

ـ حقًّا ؟!

واحتضنت ذراعه أكثر ، وهى تلقى رأسها على كتفه ، قائلة :

ـ (جاك) .. أنا سعيدة .. سعيدة للغاية .

وابتسم هو أكثر ..

ففى الغد ، لن يصبح هناك وجود لـ (جاك موروني) ، الذى لقى مصرعه بالفعل ، منذ ثلاثة أيام ..

ولن يكون هناك وجود له أيضًا ..

فى قلب (إسرائيل) ..

أو فى الحياة كلها ..

★ ★ ★

« طائرة السيِّد (أدهم) وصلت إلى (إسرائيل) يا سيِّدى .. »

تلقَّى مدير المخابرات المصرية الخبر فى اهتمام مشوب بالتوتر ، فانعقد حاجباه فى قلق ، وهو يسأل :

ـ وكيف سارت الأمور ؟!

أجابه نائبه :

ـ من الواضح أنه قد تقمَّص شخصية (موروني) ببراعة منقطعة النظير ؛ لأن شيئًا لم يعترضه فى الجوازات أو الجمارك ، فى مطار (تل أبيب) ، كما أكَّد مصدرنا هناك .

مال المدير إلى الأمام ، قائلاً :

ـ وماذا عن نسخة القفاز النهائية ؟!

أجابه نائبه فى شىء من الارتياح :

ـ مصـــدرنا تأكّد من حصـــوله عليـه ، قبل أن يغـادر المطار ، مع باقى الفوج السياحى .

تراجع المدير فى مقعده ، قائلاً :

ـ عظيم .

وصمت بضع لحظات مفكرًا ، قبل أن يسأل نائبه :

ـ متى سيذهب إلى (ديمونة) ؟!

ألقى النائب نظرة على ساعته ، قبل أن يجيب :

ـ خلال ساعة واحدة .

مطّ المدير شفتيه ، مغمغمًا :

ـ أتعشّم أن تمضى الأمور فى سلام .

تطلّع إليه نائبه لحظة قبل أن يسأله فى اهتمام :

ـ ما الذى يقلقك الآن يا سيّدى ؟!

أشار المدير بيده قائلاً :

ـ كل شىء فى هذه العملية مثير للقلق يا رجل ، فحتـى نجاح (أدهم) فى دخول (إسرائيل) لا يعنى أن كل شىء

يسير على ما يرام .. فمن الممكن أن يكون الإسـرائيليون قد كشفوا أمره بالفعل ، ولكنهم تركوه يواصل ما يفعلـه ، حتى يتبينوا هدفه الحقيقى من كل هذا .

قال نائبه :

ـ لو أن الأمر كذلك ، فلا يمكن أن يسـمحوا لـه بدخـول مفاعل (ديمونة) .

غمغم المدير :

ـ بالتأكيد .

سأله نائبه فى اهتمام :

ـ ولكن هذا ليس ما يقلقك فعليًّا .. أليس كذلك ؟!

تنهّد المدير ، مجيبًا :

ـ هذا صحيح .

ثم نهض من خلف مكتبه ، وتحرّك فى المكان فى توتر ، متابعًا :

ـ مصـــادرنا فــى (روســيا) و (بولنـــدا) تؤكّـد أن الإسرائيليين قد توصلوا إلى أمر تلك الفضيحة الأخلاقيــة ،

التى تورَّط فيها (جاك مورونى) فى شبابه ، ولسنا ندرى ما إذا كانوا قد استنتجوا علاقة هذا بالمخابرات السوفيتية أم لا ، ولكن لو أنهم فعلوا قبل أن يتمّ (أدهم) مهمته ، ويغادر مفاعل (ديمونة) ، سيعنى هذا وقوعه فى قبضتهم ، باعتباره (مورونى) ، ومن المحتم أن ينكشف تنكره عندئذ ، وتكون نهايته .

امتقع وجه النائب ، وهو يهتف :

ـ يا إلهى !

ثم اندفع يسأل فى قلق بالغ :

ـ ألا يوجد ما يمكننا فعله ؟!

هزَّ المدير رأسه نفيًا فى أسف ، وقال :

ـ كل ما لدينا هو أن نمضى فى خطتنا كما هى .

وصمت لحظة ، ثم أضاف فى قلق :

ـ ولنأمل أن يتعامى الإسرائيليون عن تلك الأمور .. على الأقل حتى يغادر (أدهم) مفاعل (ديمونة) .

تمتم نائبه فى توتر :

ـ هذا لو نجح فى دخوله .

نعم .. هذا لو نجح ..

لو ..

* * *

جلس (أدهم) هادئًا على نحو عجيب ، داخل تلك الهليكوبتر ، التى تحمله ، مع عدد من العاملين فى المفاعل الذرى الإسرائيلى ، إلى (ديمونة) ، وأسبل جفنيه فى تراخ ، وعقله يسترجع كل المعلومات ، التى يحفظها عن ظهر قلب ، لملفات العاملين فى المكان ، من عمال النظافة ، وحتى المدير المسئول ..

ولقد قضى ليلته السابقة كلها فى فحص بعض تلك الملفات ، فى دقة كاملة ..

وقبل أن يستقل ذلك الأتوبيس ، الذى قاد الفوج إلى مطار (أورلى) بدقائق قليلة ، كان قد انتهى من عمله الدقيق جدًّا ..

ومع ذلك المطاط الرقيق المزدوج ، الملتصق بوجهه ، كان يتمنى أن تنتهى هذه العملية ، بأسرع وقت ممكن ..

وبأنجح وسيلة أيضًا ..

كان جسده كله مسترخيًا فى مقعده ، بعد الجهد الكبير ، الذى بذله فى الليلة السابقة ، عندما سمع أحدهم يسأله :

ـ ما بالك تبدو مرهقًا هكذا يا (جاك) ، بعد رحلة رائعة فى (باريس) ؟!

فتح (أدهم) عينيه فى بطء ، وألقى نظرة على محدِّثه ، وراجع عقله الصور والملفات فى سرعة ، قبل أن يقول :

ـ لا تنس يا (موشى) أنهم قد حملونا إلى العمل ، بعد وصولنا من (باريس) بساعتين فحسب ، وكان ينبغى أن نحصل على قسط من الراحة ، ولو ليوم واحد .

ضحك (موشى) هذا ، قائلاً :

ـ من حسن حظكم أنهم قد أعدوا لكم رحلة باريسية كهذه يا رجل .. لا تطالبهم بكرم حقيقى ، وإلا فسنشك فى أنهم ليسوا أرباب العمل ، الذين اعتدناهم منذ سنوات .

عاد (أدهم) يسبل جفنيه مغمغمًا :

ـ بالتأكيد .

راح (موشى) يتحدَّث إليه فى حماسة ، عن العمل ، وأحواله ، ومنغصاته ، ومشكلاته ، و(أدهم) يستمع إليه بنصف أذن ، ونصف عقل ، و....

« وصلنا أيها السادة .. »

نطقها قائد الهليكوبتر فى شىء من الصرامة ، ليس لها ما يبرِّرها ، وهو يهبط أمام مدخل المفاعل فنهض (أدهم) ، واعتدل فى مجلسه ، وقال لرفيقه :

ـ حديث ممتع يا (موشى) .. أتعشَّم أن نلتقى كثيرًا فى الفترة القادمة .

بدت الدهشة على وجه الرجل ، وهو يقول :

ـ حقًّا ؟!

ثم تبعه خارج الهليكوبتر ، وهو يضحك فى ارتباك ، متابعًا :

ـ عجبًا ! من الواضح أن رحلة (باريس) هذه قد غيَّرتك تمامًا ؛ فأنت لم تكن ودودًا مجاملاً هكذا من قبل .

أثارت عبارته قلق (أدهم) ، وهو يتجه نحو مدخل المفاعل ، مستعدًا لمواجهة نظم الأمن الدقيقة هناك ..

فعبارة الرجل ودهشته ، يؤكدان أنه ما زال يرتكب بعض الأخطاء الصغيرة ، فى تقمصه لشخصية (مورونى) ..

ولقد تعلم ، على يد والده الراحل ، ومن خلال جهاز المخابرات المصرى ، أنه لا يوجد ما يطلق عليه اسم أخطاء صغيرة ..

فتراكم تلك الأخطاء الصغيرة والتافهة ، يصنع بؤرة شك ضخمة ، تكفى لكشف أية عملية ، مهما بلغت أهميتها أو خطورتها ..

ومن الآن فصاعدًا ، عليه أن يكون أكثر حذرًا ، فى كل ما يفعله أو يقوله ..

والأفضل أن يتحاشى الاحتكاك بالآخرين ، خلال المرحلة القادمة ..

المرحلة التى تعتمد عليها العملية كلها ..

وفى هدوء وتماسك ، وقف فى طابور الفحص ، وعقله يعيد دراسة موقفه كله منذ البداية مرة أخرى ..

من الواضح أنه لم يبلغ بعد مرحلة الكمال ، التى كان ينشدها والده (رحمه الله) ..

صحيح أنه يتقن التنكُّر وتقمُّص الشخصيات ، كما تدرَّب طيلة عمره ، ولكنه ما زال عاجزًا عن إقناع المقربين ، للشخصية التى يتقمصها ..

هيئته ووجهه ، والصوت الذى تدرَّب على تقليده طويلاً ، كلها لم تنجح فى خداع (جيفيت) ، أو (موشى) هذا .. وربما غيرهما أيضًا ..

وكل هذا بسبب تلك الأخطاء البسيطة ..

وهذا يعنى حتمية أن يبذل جهدًا أكبر فى المستقبل ؛ لإتقان عملية التقمص هذه ..

أكبر بكثير ..

« سينكشف أمرك الآن .. »

نطقت (جيفيت) العبارة من خلفه فى مقت غاضب ، فزفر متمتمًا :

ـ كفى يا (جيفيت) .. لقد سئمت هذا .

قالت فى حدة :

ـ أنا واثقة من أنك لست (جاك) .. (جاك) لم يكن أبدًا أطول منى بهذا المقدار .

كرَّر (أدهم) :

ـ كفى يا (جيفيت) .. كل هذا لن يأتى بنتيجة .

لكزته فى ظهره ، قائلة فى حنق :

ـ سنرى .. سينكشف أمرك الآن ، مع فحص البصمات .

ابتسم ، قائلاً :

ـ نعم .. سنرى .

كانا يتحركان فى الطابور فى بطء مستفز ، مع إجراءات الأمن الصارمة ، وكانت تقف خلفه مباشرة ، والغضب يفور فى كل شريان فى جسدها ، وهى تقول :

ـ لا أحد يمكن أن يعامل (جيفيت) بهذا الاحتقار .. لا أحد يرفضنى ، ثم يستبدل بى تلك الحقيرة (مارا) .

قال فى صرامة حقيقية :

ـ الغيرة ستفقدك عقلك يا (جيفيت) .

صرخت :

ـ الغيرة ؟! أية غيرة ؟!

استدارت العيون كلها إليهما فى توتر ، مع صوتها المرتفع ، وانفعالها الجارف ، فقال (أدهم) فى حدة :

ـ كفى يا (جيفيت) .. كفى .

أطبقت شفتيها بضع لحظات ، فى غضب شديد ، إلا أنها لم تلبث أن قالت فى حدة شديدة :

ـ سنرى .

ثم عادت إلى الصمت التام ، وهى تفرك كفيها بمنتهى العصبية ، حتى بلغا بوابة المبنى ، حيث قام اثنان من الحراس بتفتيش (أدهم) بمنتهى الدقة والعناية ؛ للتأكد من أنه لا يحمل أية أسلحة ، أو أجهزة تسجيل أو تنصُّت ، ثم راجع ثالث أوراقه بجهاز خاص ؛ للتيقن من صحتها ، وبخاصة تلك الهوية ، غير القابلة للتزوير ..

وبعدها ، حانت لحظة فحص البصمات ..

وفى هدوء شديد ، وكمن اعتاد هذا طيلة عمره ، ألصق (أدهم) راحته ذات القفاز غير المرئى الخاص ، على لوحة الجهاز ، و....

وأضىء المصباح الأخضر ، معلنًا السماح له بالمرور ..

وبنفس الهدوء ، حمل (أدهم) حقيبة العمل الصغيرة ، واتجه نحو المدخل ، و....

« هذا ليس (جاك) .. »



وفى هدوء شديد ، وكمن اعتاد هذا طيلة عمره ، ألصق (أدهم) راحته ذات القفاز غير المرئى الخاص ، على لوحة الجهاز ..

صرخت (جيفيت) بالعبـارة فجأة ، فـى ثـورة هائلـة ، وهى تشير إلـى (أدهـم) ، الـذى توقَّـف ، واستدار إليهـا بحركة حادة ، فأكملت كالمجنونة :

ـ افحصوه مرة أخرى .. إنه ليـس (جـاك) .. ليـس (جاك) .. أقسم لكم إنه ليس (جاك) .

لم يكن لثورتها معنى ، بعد أن تجاوز (أدهم) كل نظم الأمن والفحص بنجاح ..

ولكن فى مكان شديد الحساسية ، مثل مفاعل (ديمونة) ، لا مجال للعقل والمنطق ، أمام أية احتمالات أمنية خطيرة ..

لـذا ، وفـور أن أطلقت (جيفيت) ثورتهـا ، ارتفعـت فوهات المدافع الآلية فى حدة وتحفز نحو (أدهم) ..

وقبل حتى أن يفهم باقـى الموظفين ما يحـدث ، اندفـع رئيس طـاقم الحراسـة نحـو (أدهـم) ، فـى شراسـة غـير عادية ، هاتفا :

ـ توقَّف يا هذا .. إياك أن تخطو خطوة واحدة .

ثم استـلّ مسدسـه ، ورفـع فوهتـه القاتلـة نحـو وجـه (أدهم) مباشرة ، وهو يقول فى لهجة آمرة صارمة قاسية :

ـ لقد انكشف أمرك ، فاخلع قناعك هذا .. هيا .

وانعقد حاجبا (أدهم) فى توتر شديد ..

فعلى الرغم من كل التوقعات ، لم يكن يتصوَّر قط أن تفشل المهمة هنا وفى اللحظات الأخيرة .

* * *

١٠ ـ لحظات الخطر ..

« ما الذى يحدث هنا بالضبط ؟! »

انطلقت تلك الصيحة الغاضبة فجأة ، لتقطع كل التوتر الحادث ، عند مدخل المفاعل ، فالتفت الكل إلى صاحبها (دان ميخا) ، رئيس أمن المفاعل ، الذى اتجه نحوهم فى غضب شديد ، وكفاه معقودتان خلف ظهره ، مكملاً :

ـ منذ تسلَّمت عملى هنا ، لم يحدث مثل هذا الهرج السخيف أبدًا .

هتف رئيس طاقم حراسة البوَّابة ، وهو يصوب مسدسه نحو (أدهم) فى تحفُّز عصبى :

ـ هذا الرجل زائف يا أدون (ميخا) .

واصل (ميخا) تقدّمه نحوهم ، وهو يقول فى صرامة :

ـ زائف ؟! هل أكَّد جهاز فحص البصمات هذا ؟!

هتف الرجل :

ـ كلاً يا أدون (ميخا) .. لقد اجتاز كل الفحوصات بنجاح ، ولكن هذه السيِّدة تؤكد أن ....

قاطعه (ميخا) بصرخة هادرة :

ـ تؤكِّد ؟!

ارتبك رئيس طاقم البوّابة ، فى حين هتفت (جيفيت) فى حدة :

ـ هذا الرجل ليس (جاك مورونى) .

تجاهلها (ميخا) تمامًا ، وهو يواصل صراخه ، فى وجه رئيس الطاقم :

ـ أهذا ما تعلمته عن نظم الأمن يا هذا ؟! أهذا ما لقناك إياه ، قبل أن تفوز بوظيفتك هذه ؟! شخص اجتاز كل الفحوصات بنجاحٍ ، ثم تفقد ثقتك فى كل نتائجها فجأة ، لمجرَّد أن امرأة تؤكِّد العكس ، دون دليل واحد .

صرخت (جيفيت) فى حدة :

ـ هذا الرجل ليس (جاك) .. اخلعوا قناعه وستدركون هذا .

غمغم (أدهم) فى توتر :

ـ كفى يا (جيفيت) .. المرأة لا تفعل كل هذا ، إذا ما هجرها رجل .

صرخت (جيفيت) :

ـ لا تحاول الإفلات .. أنت لست (جاك) .. لست (جاك) ..

صاح بها (ميخا) فى غضب هادر :

ـ كفى يا سيِّدتى .. كفى .

ثم أشار إلى (أدهم) ، قائلاً :

ـ أدون (مورونى) .. أريد أن أتحدَّث إليك قليلاً فى مكتبى .

غمغم (أدهم) ، وهو يعدِّل من ثيابه :

ـ بكل تأكيد .

صاحت (جيفيت) :

ـ هل ستسمح له بدخول المفاعل ؟!

صاح بها (ميخا) فى غضب :

ـ سيِّدتى .. أنا مسئول الأمن الأوَّل هنا ، وأنا وحدى أقرِّر ما ينبغى وما لا ينبغى .

صرخت فيه بغضب :

ـ سأحملك المسئولية كاملة .

انعقد حاجباه الكثان فى صرامة غاضبة ، وهو يقول :

ـ إننى أحملها بالفعل يا سيِّدتى .

مال (أدهم) على أذنه ، هامسًا :

ـ إحم .. معذرة يا أدون (ميخا) .. ربما أجرؤ على التدخل فى صميم عملك ، ولكن ألا تتفق معى فى أن ما تفعله السيِّدة (جيفيت) ، يعدّ تشتيتًا مثاليًا لانتباه الجميع .. أعنى لو أنها تريد الإفلات بشىء ما مثلاً .

ازداد انعقاد حاجب (ميخا) فى شدة ، وهو يفكر فيما قاله (أدهم) ، قبل أن يسأل رئيس طاقم حراسة البوابة فى صرامة شديدة :

ـ هل اجتازت السيِّدة (جيفيت) اختبارات وفحوصات الأمن ؟!

أجابه الرجل فى سرعة :

ـ ليس بعد .

بدا (ميخا) أشبه بذئب ، ظفر أخيرًا بفريسته ، وهو يتطلع إليها فى شماتة ، قائلاً :

ـ عظيم .. أريدها أن تمر بفحص مزدوج .

صرخت (جيفيت) ، ووجهها يحتقن فى شدة :

ـ أنا ؟!

أضاف (ميخا) فى صرامة :

ـ اطلبوا إحدى الزميلات ، لتقوم بتفتيشها ذاتيًا أيضًا .

ازداد احتقان وجه (جيفيت) ، وهى تهتف :

ـ تفتيش ذاتى ؟! وماذا فعلت لتقوموا بتفتيشى ذاتيًا ؟!

ثم استعادت غضبها وثورتها ، مستطردة فى حدة :

ـ آه .. فهمت .. أنت متواطئ معه .. أنت أيضًا خائن .. خائن .

صرخ (ميخا) فى غضب هادر :

ـ لو نطقت تلك القذرة حرفًا إضافيًا ، أطلقوا النار على رأسها مباشرة .

وتألقت عيناه ببريق وحشى ، وهو يضيف :

ـ وعلى مسئوليتى الخاصة .

شهقت (جيفيت) فى رعب ذاهل ، عندما ارتفعت فوهات المدافع الآلية كلها فى وجهها ، فى حين سرت موجة من التوتر العنيف وسط باقى العاملين ، الذين لم يعتادوا مثل هذه التطورات ، فى عملية الفحص اليومية ..

أما (ميخا) ، فقد أشار إلى (أدهم) ، قائلاً :

ـ هيا يا أدون (مورونى) .

ابتسم (أدهم) فى هدوء ، وتطلّع إلى (جيفيت) فى سخرية ، وهو يرفع أحد حاجبيه ويخفضهما ، فاحتقن وجه تلك الأخيرة فى عنف ، وهى تطبق شفتيها فى قوة مرغمة ، ثم لم تجد أمامها سوى دموعها ، التى تفجَّرت لتغمر وجهها كله فى مرارة ، فى نفس الوقت الذى استدار فيه (أدهم) فى هدوء ، وتبع (ميخا) إلى الداخل ..

داخل المفاعل النووى ..

وفى مكتب رئيس أمن المفاعل ، دعاه (ميخا) إلى الجلوس على المقعد المقابل له ، وهو يسأله فى اهتمام ، يحمل نبرة صارمة :

ـ ما رأيك فيما تقوله (جيفيت) يا أدون (مورونى) ؟!

هزّ (أدهم) رأسه ، قائلاً :

ـ إنها ليست أوّل مرة تقول فيها هذا .. لقد أفسدت رحلتى كلها ، لمجرَّد أننى تركتها ، وارتبطت بزميلتها (مارا) ..

رفع (ميخا) أحد حاجبيه ، قائلاً فى انبهار :

ـ (مارا) ؟! تلك اللعوب ، التى تعمل فى قسم المحفوظات ؟!

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول متصنعًا الخجل :

ـ إنها هى .

هتف (ميخا) :

ـ أحسنت يا رجل .. إنها فاتنة بحق .

ثم استعاد صرامته بغتة ، وهو يضيف :

ـ ولكن هل تعتقد أن (جيفيت) الرصينة دومًا ، يمكن أن تفعل كل هذا ، لمجرَّد أنك تركتها ؟!

هزّ (أدهم) كتفيه ، قائلاً :

ـ أنت لا تعرف النساء ، عندما تعميهن الغيرة .

مطّ (ميخا) شفتيه ، وتراجع بمقعده فى شك ، فتابع (أدهم) فى سرعة :

ـ لو كانت لديك ذرة واحدة من الشك فيما أقول ، يمكنك الاتصال برجل الموساد (كاهان) ، الذى رافق رحلتنا .. لقد عاصر المشكلة بنفسه هناك .

التقط (ميخا) سمّاعة هاتفه الخاص ، قائلاً فى صرامة :

ـ وهذا ما سأفعله بالتأكيد .

أدار قرص هاتفه ، وانتظر حتى سمع صوت (كاهان) فقال فى سرعة :

ـ مرحبًا أدون (كاهان) .. لدى هنا أحد العاملين فى المقاعل ، ويدعى (جاك موروتى) .. نعم .. هو نفسه .. لقد حدث أمر عجيب هنا ، فقد ..

راح يشرح له ما حدث بكل تفاصيله ، و(أدهم) صامت تمامًا ، يراقبه باهتمام وإمعان شديدين ، حتى انتهى هذا الأخير من حديثه ، والتفت إليه بغتة ، وهو يعيد سماعة الهاتف ، وقال فى دهشة :

ـ أدون (مورونى) ! لماذا تحدّق فىَّ هكذا ؟!

اعتدل (أدهم) فى مقعده ، قائلاً :

ـ معذرة يا أدون (ميخا) .. كنت فقط أتأكّد من أن كل شىء على ما يرام .

أجابه (ميخا) بصرامته المعهودة :

ـ نعم .. أدون (كاهان) صدّق على كل ما ذكرته .. إننى أعتذر ، نيابة عن (جيفيت) المجنونة هذه ، وأعدك أن نتخذ ضدها كل الإجراءات اللازمة ، بسبب كل ما أثارته من فوضى هنا .

نهض (أدهم) ، والتقط حقيبته الصغيرة ، وهو يقول :

ـ أشكرك يا أدون (ميخا) .. هل يمكننى الآن الذهاب إلى عملى ؟!

أجابه (ميخا) فى حماسة :

ـ بالتأكيد .. هيا .. لا تضع المزيد من الوقت .

غـادر (أدهم) مكتب رئيس الأمن فى هدوء وثقة ، وهو يتبع تلك الشرائط الملوّنة ، المرسومة على أرضية المكان ، والتى تقود إلى كل قسم فيه ..

وفى أعماقه ارتسمت ابتسامة كبيرة ، لم تلتقطها شفتاه ..

فلولا تلك الشرائط الملوّنة ، لما عرف طريقه إلى مكتب (موورونى) ، داخل المفاعل ، الذى يدخله لأوّل مرة ..

وفى طريقه إلى المكتب ، راح ذهنه يسجّل كل ما يراه ويرصده ويسمعه ، حتى تستفيد منه المخابرات العامة فيما بعد ..

هذا لو نجح فى الخروج من هذا المكان حيًّا ..

لم يكن يبالى كثيرًا بحياته ، إلا بقدر ما تمثله من أهمية ، تتمثّل فى المعلومات التى يمكن أن يحصل عليها ، والتى أتى من أجلها ، والتى ينبغى أن تصل إلى (مصر) ، بأية وسيلة كانت ..

وبأى ثمن كان ..

ففى شريعته ، كان كل جهده ، وكل براعته ، وكل ما يمتلكه ، حتى حياته نفسها ، فداء لعقيدته ، ومبادئه ، والعلم الذى يعمل تحته ..

علم (مصر) ..

ولقد قادته تلك الشرائط الملوّنة مباشرة إلى قسم المعلومات ، الذى لم يكد يدلف إليه ، حتى استقبله رجل أشيب بابتسامة كبيرة ، قائلاً :

- أدون (موورونى) .. مرحبًا بعودتك .. لقد تصوَّرت أنك لن تأتى إلى العمل اليوم ، عندما تأخرت فى الوصول هكذا .

نقل (أدهم) بصره بين المكتبين فى الحجرة ، متسائلاً أيهما مكتب (موورونى) ، وهو يجيب :

- شكرًا يا أدون (كوهين) .. لقد أتيت فى موعدى المحدود ، ولكن تلك المأفونة (جيفيت) أثارت لى بعض المتاعب عند البوّابة .

قال (كوهين) فى دهشة :

- (جيفيت) ؟! كنت أتصوَّر أن علاقتك بها عابرة ؟!

تنهَّد (أدهم) ، قائلاً :

- إنها كذلك بالفعل .. أو كانت كذلك ، ولكنها ترفض فكرة أن أتخلى عنها ، وأرتبط بغيرها .

هزَّ (كوهين) رأسه ، قائلاً :

- يا للنساء !

نقل (أدهم) بصره مرة أخرى بين المكتبين ، ثم انتقى أحدهما ، ووضع حقيبته فوقه فى ثقة ، عندما تبين لـه أنه أكثر تنظيمًا ، على نحو يناسب مكتب رجل ، قضى خمسة أيام بعيدًا عن العمل ، على عكس مكتب (كوهين) ، الذى تناثرت عليه الأوراق والملفات ..

وفى هدوء ، استقرّ خلف المكتب ، وهو يقول :

ـ هل تتصـورّ أنـه لا حديث فـى (بـاريس) كلهـا ، إلا عن تلك القنابل النووية المحدودة ؟

ابتسم (كوهين) ، قائلاً :

ـ هذا كفيل بإشعال عقل أية دولة .

تراجع (أدهم) فى مقعده ، وسأله :

ـ هل تعلم .. أحيانًا أتصورّ أننا قـد أنتجنـا هذه القنـابل بالفعل ؟

هزّ (كوهين) كتفيه ، قائلاً :

ـ ولماذا تتصورّ ؟! لقد أنتجناها فعليًا .

وانعقد حاجبا (أدهم) فى توتر بالغ ..

إذن فالمعلومة حقيقية ..

(إسرائيل) أنتجت بالفعل تلك القنابل النووية المحدودة !!

ربـاه ! لقد حصـل علـى المعلومــة المطلوبــة تقريبًـا ، ولكنه لم يعد يشعر بالارتياح ..

لم يعد كذلك أبدًا ..

★ ★ ★

تنهّد (كاهان) فى قـوة ، وهـو يحـاول الاسترخاء فـى مقعده ، داخل حجرة مكتبه ، التى ذهب إليها ، فور عودتـه من (باريس) ، وراح يعبث فـى بعض الأوراق أمامـه ، فى ضجر مرهق ..

لقد كـان يتصـورّ أن رحلـة (بـاريس) هذه ، ستكون فرصة للاستجمام والراحة ، وأن كل ما سيفعله فيها مجردّ متابعة الفوج وحمايته ..

ولكن تلك المأفونة (جيفيت) أفسدت الإجازة كلها ..

أفسدتها بغيرتها ، وشكوكها ، وغضبها ، وسخافاتها ..

وها هو ذا ، عائد من رحلة حسده عليها كل زملائـه ، وهو يشعر بالإرهاق والإجهاد ، والرغبة الشديدة فى النوم ..

وكل هذا بسبب (جيفيت) ..

« أأنت مستيقظ ؟! »

فتح عينيه فى سرعة ، عندما سمع العبارة ، واعتدل فى مقعده ، وهو يقول لزميله ، فى شىء من العصبية :

ـ بالطبع .. هذا مكتب ، وليس حجرة نوم .

ارتفع حاجبا زميله ، فى دهشة لعصبيته الزائدة ، بعد رحلة (باريس) ، وقال :

ـ معذرة ، ولكننى تصوَّرت أن ....

قاطعه (كاهان) فى خشونة ، قائلاً :

ـ فى المرة القادمة لا تتصوَّر شيئًا .

ثم مدّ يده إليه مستطردًا فى توتر :

ـ ماذا لديك ؟!

ناوله زميله الملف الذى يحمله ، قائلاً :

ـ إنه ملف التحريات الجديدة عن (مورونى) ، والذى طلبت أن تجده على مكتبك ، عندما تعود من (باريس) .

زفر (كاهان) فى توتر ، قائلاً :

ـ فليكن .. أعطنى إياه .

التقط الملف ، وهو يستعيد كل ما حدث فى (باريس) فى حنق ، وراح يقلِّب صفحاته فى شىء من الضجر ، صفحة وراء أخرى ، و....

وفجأة استوقفته تلك المعلومة ..

معلومة تلك الفضيحة الأخلاقية ، التى تورَّط فيها (مورونى) الشاب فى (بولندا) ، قبيل هجرته إلى (إسرائيل) ..

وانعقد حاجباه فى شدة ..

كيف لم يأت ذكر لهذه الفضيحة فى ملف (مورونى) قط ؟!

كيف اختفت من التحريات الأوَّلية ، التى أجراها عنه مكتب وكالة الهجرة اليهودية ، قبل أن يأتى إلى (إسرائيل) ؟!

تراجع بمقعده ، وراحت سبَّابته تداعب ذقنه فى عصبية ، وهو يدرس الموقف كله مرة ..

وثانية ..

وثالثة ..

هناك شىء غير طبيعى فى هذا الأمر ..

فضيحة كهذه لا يمكن أن تختفى وتتلاشى هكذا ، دون تحقيقات ، واستجوابات ، وأوراق ..

ولكن ملف (مورونى) لا يحوى أى شىء من هذا ..

لا تحقيقات ..

أو استجوابات ..

أو أحكام ..

ولا حتى حكم بالبراءة ..

بل ، ولولا خطأ إدارى ، أو ثقة زائدة ، أو إهمال سخيف ، لما توصَّل أحد إلى تلك الفضيحة الأخلاقية من الأساس ..

وهذا أمر غير منطقى !!

إلا إذا ..

قفزت الفكرة فجأة إلى ذهنه ، وتفجَّرت فى أعماقه كألف ألف قنبلة ، وعلى نحو انتفض معه جسده كله فى عنف ، وقفز من مقعده ، هاتفًا :

ـ لا .. مستحيل !

وفى ذعر ، اتسعت عيناه عن آخرهما ، وخفق قلبه بمنتهى العنف ، وهو يعيد دراسة الاحتمال فى رأسه ..

وعقله ..

وكيانه كله ..

ثم فجأة ، وبكل توتره ولهفته وانفعاله ، اختطف سمَّاعة الهاتف ، وطلب رقم هاتف أدون (ميخا) الشخصى ، ولم يكد يسمع صوت هذا الأخير ، حتى هتف فى حدة :

ـ (ميخا) .. أين (جاك مورونى) ؟!

أجابه (ميخا) فى دهشة :

ـ لقد انصرف إلى عمله كالمعتاد .. ولكن ما الذى ....

قاطعه (كاهان) فى انفعال جارف :

ـ لا تسمح لـه بالذهـاب إلـى مكتبـه .. أوقفـه .. أوقفـه فورًا ، وبأى ثمن .. هل تفهم ؟! بأى ثمن .

هتف (ميخا) فى دهشة بالغة ، وهـو يقفـز مـن خلـف مكتبه :

ـ ولكن لماذا ؟! لماذا ؟!

صاح به (كاهان) ، فى انفعال أكثر عنفًا :

ـ لأنه خدعنـا جميعًـا .. إنـه جاسوس .. هل تفهم ؟! جاسوس .

اتسعت عينا (ميخـا) عن آخرهمـا فـى ذهول ، وهـو يهتف :

ـ جاسوس ؟!

ثم أنهى الاتصـال فى عنف ، وانتزع مسدسه من غمده فى غضب هادر ، مكررًا :

ـ جاسوس ؟! هنا ؟!

ثم ضغط زرًا أمام مكتبه ، وصاح عبره فى غضب :

ـ إلى نظام الأمن العام ، ونظـام أمن كل الأقسـام .. مطلوب إلقاء القبض فورًا على (جاك مورونى) ، ومنعـه

من دخول أى قسم فى المكان .. محظور تمامًا خروجـه من المكان ، حتـى صدور أوامر مباشرة بهذا .. ويعتبر تصريحه لاغيًا ، منذ هذه اللحظة .

قالها ، ثم زمجر فى شراسة ، قائلاً :

ـ إذن فقد خدعتنـى يا (مورونـى) .. أقسـم أن تدفـع ثمن هذا غاليًا .

ثم اندفع خارج المكان ، بكـل شراسـة وغضب الدنيـا ، وهو يضع نصب عينيه هدفًا واحدًا ..

القضاء على الرجل الذى خدعه ، لأوَّل مرة فى حياته ..

(أدهم صبرى) ..

* * *

شعر (أدهم) بقبضـة باردة تعتصـر قلبـه بلا رحمـة ، عندما أخبره (كوهين) أن تلك القنابل النوويـة المحدودة حقيقة واقعة ..

ولثوان غلبه انفعاله ، فلم يستطع النطق بحرف واحد ، قبل أن يتمالك نفسه ، ويسأل (كوهين) فى اهتمام بالغ :

ـ أين وضعنا الوثائق ، الخاصة بتلك القنابل ؟!

حدَّق (كوهين) فى وجهه لحظة بالغة ، قبل أن ينفجر ضاحكًا فجأة ، ويقول :

ـ أية وثائق يا عزيزى (مورونى) ؟!

قال (أدهم) فى حذر :

ـ كل شىء ننتجه هنا له وثائق .. أليس كذلك ؟!

رفع (كوهين) سبَّابته ، مجيبًا :

ـ كل شىء ننتجه ، وليس كل شىء نبتكره .

سأله فى حذر أكثر :

ـ ماذا تعنى ؟!

ضحك (كوهين) مرة أخرى ، وهو يقول :

ـ أعنى أن كل ما أنتجناه فعليًا ، ويمكنك لمسه بيدك ، له وثائق هنا ، أما ما ابتكرته العقول ، ولم يمكننا تحقيقه عمليًا ، فلا توجد له بالطبع أية وثائق .

قال (أدهم) فى لهفة ، لم يحاول إخفاءها :

ـ ولكنك قلت : إننا أنتجنا تلك القنابل النووية المحدودة بالفعل .

ضحك (كوهين) للمرة الثالثة ، وقال :

ـ ماذا دهاك يا عزيزى .. أنت تعلم مثلى أن القنابل النووية المحدودة هذه مجرَّد حلم ، يسعى علماؤنا لتحقيقه منذ سنوات ، ولكنهم لم يحققوا أية نتائج إيجابية فى هذا الشأن ، ولكن عبقريتهم جعلتهم يعلنون العكس ، لإبهار العرب وإرهابهم ، وخاصة بعد ما فعلوه بجيشنا ، فى حربهم الأخيرة .

عاد قلب (أدهم) يخفق فى عنف وارتياح ..

إذن فالقنابل النووية المحدودة مجرَّد شائعة ..

شائعة غير حقيقية ..

ولكن مهلاً ..

إنه لم يدخل مفاعل (ديمونة) بنفسه ، ليكتفى بأقوال موظف بقسم المعلومات ..

إنه يحتاج إلى دليل ..

دليل قوى ، لا يقبل الشك ..

يحتاج إلى وثائق مؤكَّدة ..

وإلى مراجعة خط إنتاج المفاعل بنفسه ..

وفى صرامة ، نهض (أدهم) ، من خلف مكتب (مورونى) قائلاً :

ـ هل يوجد ما يثبت هذا ؟!

سأله (كوهين) فى دهشة بالغة :

ـ بالتأكيد يا (مورونى) .. لدينا كشف الإنتاج السنوى السرى .. ولكن .. المفترض أنك تعلم هذا مثلى .

لم يكد ينطق عبارته هذه ، حتى انطلق تحذير (دان ميخا) عبر كل مكبرات الصوت فى المكان ، فاتسعت عينا (كوهين) عن آخرهما ، وتراجع كالمصعوق ، هاتفًا :

ـ جاسوس ؟! أنت يا (مورونى) ؟!

انعقد حاجبا (أدهم) فى صرامة مخيفة ، وهو يتجه نحوه ، قائلاً :

ـ أين هو يا (كوهين) ؟! أين كشف الإنتاج السنوى السرى ؟

ردَّد (كوهين) فى ارتياع ، وهو يرفع ذراعه ، ليحمى وجهه :

ـ أنت يا (جاك مورونى) ؟! أنت جاسوس ؟!

صاح به (أدهم) فى صرامة :

ـ أين هو ؟!

أشار (كوهين) بأصابع مرتجفة إلى دولاب مغلق ، فاستدار (أدهم) إليه فى سرعة ، وسأله فى صرامة :

ـ المفتاح .. أين المفتاح ؟!

ارتجف (كوهين) فى رعب هائل ، وهو يهتف :

ـ أرجوك .. ارحمنى .. أنا لم أفعل شيئًا .. أرجوك .

ثم اتسعت عيناه فى ارتياع ، وسقط فجأة أرضًا ، وهو يلهث على نحو عجيب ..

ومن بعيد ، تعالى وقع أقدام تعدو نحو قسم المعلومات ..

لم تكن هناك لحظة واحدة يمكن إضاعتها ..

وبسرعته المعهودة ، انحنى (أدهم) يفتش جيوب (كوهين) ، حتى التقط سلسلة مفاتيحه ، وراح يبحث فيها عن مفتاح يناسب قفل الدولاب المغلق ..

وعندما عثر على المفتاح ، كان وقع الأقدام يقترب ..

ويقترب ..

ويقترب ..

ولكن (أدهم) لم يبـال بهذا ، وهو يفتح الدولاب فى سرعة ، ويبحث بين الأوراق عن كل ما يحمل ذلك الشريط الأحمر فى ركنه ، مع عبارة (سرى للغاية) ..

كل الأوراق السرية جدًّا ..

كلها بلا استثناء ..

وفى سرعة ، دسّ كل تلك الأوراق فى جيبى سترته ، وأذناه تلتقطان وقع الأقدام ، التى تقترب أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

وفى الخـارج ، كان رجـال الأمن يعدون فى شراسـةَ ، وهم يصرخون فى وجه كل موظفى القسم :

ـ ادخلوا مكاتبكم .. أغلقوا الأبواب .

أطـاعهم الكـل فـى ذعـر ، وتراجعـوا إلـى مكـاتبهم ، وأغلقوا أبوابها خلفهم ، فى حين التقى كل رجال الأمن فى

المكـان عنـد مكتـب (موررونـى) ، وصـاح أكبرهم رتبـة ، وهو يلوّح بمدفعه الآلى :

ـ احترسوا .. سنهجم جميعًا فـى آن واحد .. لا ينبغى أن نسمح له بالفرار قط ..

ثم ارتفع صوته ، وهو يهتف فى صرامة وقوة :

ـ الآن .

وبضربة رجل واحد اقتحم رجال الأمن الخمســة مكتب (موررونى) ..

ثم ارتفعت فوهات مدافعهـم الآليـة نحو الرجل الواقف هناك ..

نحو (أدهم) ..

(أدهم صبرى) .

* * *

١١ ـ أخطر الرجال ..

لهث (قدرى) بانفعال جارف ، وهو يلوِّح بذراعيه فى الهواء بلا معنى ، قبل أن يهتف فجأة ، بصوت حمل كل لهفته وانبهاره :

ـ يا له من موقف ؟! كيف يمكن أن ينجو (أدهم) ، من حصار كهذا ؟!

ابتسم نائب المدير ، وهو يقول :

عندما نتعامل مع رجل مثل (أدهم) ، ينبغى أن تتيقَّن من أن له دائمًا أساليب غير تقليدية ، لمواجهة أمور كهذه ..

هتف (قدرى) فى لهفة :

ـ وكيف ؟! لقد حاصروه داخل حجرة مكتب (موروني) ، وهو يحمل كل وثائقهم السرية للغاية ، و....

وبتر عبارته فجأة ، وأطلَّت من عينيه حيرة شديدة ، قبل أن يهتف :

ـ ولكن مهلاً ! كيف يحتفظ الإسرائيليون بأوراق بالغة السرية كهذه ، فى دولاب برتاج عادى ؟!

تراجع النائب فى مقعده ، قائلاً :

ـ لقد كان هذا أساسًا لاستجواب قاس عنيف صارم ، تعرَّض له كل المسئولين عن أمن وسلامة المفاعل ، ولكنهم دافعوا عن أنفسهم بأن المكان نفسه كان مؤمنًا ، بكل الوسائل الممكنة ، حتى إنه كان من المستحيل أن يدخله شخص غير أهل للثقة .

هتف (قدرى) :

ـ ولكن (أدهم) دخله .

ابتسم النائب ، قائلاً :

ـ لا تنس أن (أدهم) شخص فريد الطراز ، وأنه يحمل عن جدارة لقب (رجل المستحيل) .

قال (قدرى) فى حماس :

ـ بالتأكيد .. (منى) تؤكِّد دائمًا أن ....

بتر عبارته مرة أخرى ، ليسأل فى لهفة :

ـ وبالمناسبة ! .. أين (منى) ؟! لماذا لم تنضمَّ إلينا ، لتستمتع بهذه العملية الرائعة ؟!

أشار النائب الأول لمدير المخابرات بيده ، قائلاً :

ـ (منى) فى طريقها إلى (موسكو) الآن .. لقد حصلت على إجازة مفتوحة ، حتى تكون إلى جواره ، فى هذه الأيام بالذات .

هزَّ (قدرى) رأسه ، مغمغمًا :

ـ كان ينبغى أن أتوقَّع هذا .

ارتسمت على شفتيه ابتسامة شاردة لبضع ثوان ، قبل أن يهتف فجأة :

ـ المهم أن تخبرنى الآن .. كيف خرج (أدهم) من هذا الموقف الرهيب ؟!

رفع النائب سبَّابته ، قائلاً :

ـ بوسيلة لم تخطر ببال الإسرائيليين قط ..

هتف (قدرى) بلهفة أكثر :

ـ كيف ؟!

قلَّب النائب الأوراق أمامه ، قائلاً :

ـ سأخبرك ..

وعاد يروى ..

* * *

« ما الذى تعتقد أن الإسرائيليين سيفعلونه بـ (أدهم) ، إذا ما وقع فى قبضتهم ، يا سيادة المدير ؟! »

نطق أحد رجال المخابرات السؤال فى اهتمام قلق ، فى ذلك الاجتماع العاجل ، الذى عقده مدير المخابرات ؛ لمتابعة اللحظات الأخيرة من الخطة ، فأشار المدير بيده ، وهو يقول فى حزم :

ـ الإسرائيليون لا يعرفون الرحمة ، فى مثل هذه الأمور ، ولا يعترفون بأية اتفاقيات أو مواثيق ، عندما يتعلق الأمر بأمنهم وسلامتهم ، ومن الطبيعى أن يصيبهم الجنون ، عندما ينجح شخص ما فى اقتحام أكثر أسوارهم الأمنية مناعة ، ويستولى على واحد من أخطر أسرارهم ، فى الوقت الحالى .

سأله آخر ، فى قلق أكثر :

ـ هل سيقتلونه ؟!

هز المدير رأسه نفيًا ، وقال :

ـ ليس مباشرة ؛ فمن الضرورى أن ينتزعوا ما لديه أولاً .

وأطلق من أعماق صدره زفرة متوترة ، قبل أن يتابع :

ـ وهم وحوش كاسرة فى هذا المضمار ، وما فعلوه بأسرانا ، فى نكسة يونيو ١٩٦٧ م ، يؤكد أنهم أكثر قساوة من الذئاب الجائعة ، وسط صحراء قاحلة .

ران على الرجال صمت رهيب ، وهم يتطلّعون إلى بعضهم فى قلق متوتر ، فاعتدل المدير فى مقعده ، قائلا فى صرامة :

ـ ولكننا لن نضيع الوقت فى الرثاء والتعاطف ، فأمامنا جزء بالغ الأهمية والخطورة من الخطة ، لابد أن نتابعه لحظة فلحظة .

والتفت إلى أحد الرجال ، مستطردًا :

ـ ماذا حقّق (حازم) فى (تل أبيب) ؟!

أجابه الرجل فى سرعة :

ـ الحاج (غسان) قام بالمطلوب منه ، بمنتهى الدقة كالمعتاد ، والشحنة فى المكان المتفق عليه الآن .

أشار المدير بسبّابته ، قائلاً فى حزم :

ـ اتصل بـ (حازم) فورًا ، وأكّد له ضرورة الالتزام بالتوقيت ، بمنتهى الدقة والإتقان ، فى هذا الجزء من العملية بالذات .

قال الرجل فى اهتمام :

ـ إنه يعرف كل التفاصيل والواجبات .

قال المدير فى حدة :

ـ اتصل به مرة أخرى .

تراجع الرجل ، مغمغمًا :

ـ سأفعل فورًا .

كان المدير يدرك أنه يبالغ بعض الشىء هذه المرة ، إلا أن أعصابه كانت متوترة بحق ، خاصة وهو يدرك أن هذه المرحلة بالذات ، هى أخطر مراحل الخطة ..

أخطرها على الإطلاق ..

★ ★ ★

« ماذا تفعلون ؟! هل جننتم ؟! »

انطلق صوت (دان ميخا) قويًا ، هادرًا ، غاضبًا ، داخل حجرة مكتب (مورونى) ، فى نفس اللحظة التى ارتفعت فيها فوهات مدافع رجال الأمن ، الذين اتسعت

عيونهم فى هلع ، وهم يحدقون فى وجه رئيسهم الأعلى ، قبل أن تنخفض فوهات المدافع فى سرعة ، وكبيرهم يقول فى عصبية :

ـ معذرةً يا أدون (ميخا) .. لقد استجبنا إلى ندائك ، وهرعنا إلى هنا ، و....

ارتفع صوت (ميخا) الغاضب فى وجوههم مرة أخرى ، وهو يقول فى حدةٍ :

ـ أنا سبقتكم أيها الأغبياء ، ولم أجده هنا .

ثم لوَّح بيده ، هاتفًا :

ـ هيَّا .. انتشروا فى المكان ، ولا تسمحوا لأحد بالخروج .. هيَّا .

أسرع الرجال لتنفيذ أمر رئيسهم ، ولكن الصوت الجهورى انطلق مرة أخرى يستوقف أحدهم ، قائلاً فى صرامة :

ـ هذا الرجل مصاب بأزمة قلبية .. ابق إلى جواره ، واتصل بسيارة إسعاف فورًا .

انحنى الرجل فى سرعة يفحص (كوهين) ، الذى يواصل اللهاث فى قوة ، وهو يشير إلى (دان ميخا) ، الذى تطلَّع إليه لحظة فى صمت ، ثم اندفع خارج الحجرة كالصاروخ ..

وسعل (كوهين) فى عنف ، وبذل جهدًا خرافيًّا ، ليقول فى صعوبة :

ـ الـ .. الحق به .

أجابه الجندى ، محاولاً تهدئته :

ـ اهدأ يا سيِّدى .. سأتصل بسيارة الإسعاف فورًا .

لهث (كوهين) بانفعال أكثر ، وهو يقول :

ـ القناع .. القـ .. القناع .

سأله الجندى فى حيرةٍ :

ـ أى قناع ؟!

لوَّح (كوهين) بسبَّابته فى تهالك ، نحو دولاب الأوراق السرية ، مكررًا :

ـ الـ .. القنـ .. القناع .



انحنى الرجل فى سرعة يفحص (كوهين) ، الذى يواصل اللهاث فى قوة ، وهو يشير إلى (دان ميخا) ..

أدار الجندى عينيه إلى حيث يشير (كوهين) ، وتابع سبابته المرتجفة ، حتى عثر على جسم مطاطى ، ملقى ما بين مكتب (مورونى) ودولاب الأسرار ، فنهض يلتقطه فى اهتمام ، ولكنه لم يكد يدرك ماهيته ، حتى انعقد حاجباه فى شدة وحيرة ..

فذلك الشىء كان بالفعل قناعًا ..

قناعًا مطاطيًّا رقيقًا ، يحمل ملامح مألوفة ، فى هذا القطاع بالذات ..

ملامح وجه (جاك) ..

(جاك مورونى) ..

وعلى الرغم من هذا ، لم يفهم الجندى ما يعنيه ذلك ..

لم يفهم أبدًا ..

وفى نفس اللحظة ، التى حار فيها الجندى فى أمر القناع ، كان (أدهم) يسير فى خطوات واسعة سريعة ، داخل المفاعل الإسرائيلى ، فى هيئة (دان ميخا) ، مسترشدًا بتلك الخطوط الأرضية الملوَّنة ، فى طريقه إلى خط الإنتاج الرئيسى ، ليتيقن من المعلومة الخطيرة ، التى حصل على وثائقها السرية ..

وعلى الرغم من الهرج الذى ساد المكان ، إثر الإعلان عن وجود جاسوس داخل المفاعل ، لم يحاول رجل أمن واحد إيقافه ، وهو يتحرك بهيئة (دان ميخا) ، الرئيس الأعلى لكل أطقم الأمن بالمبنى ..

وهذا ما توقَّعه هو ، عندما وضع خطته الانتحارية المجنونة هذه ..

ولقد انتقى (دان ميخا) ، من بين كل العاملين بالمبنى ، باعتباره الشخص الوحيد ، الذى لن يعترضه أحد أبدًا ، إذا ما انقلبت الأمور رأسًا على عقب ..

ولهذا قضى ليلته الأخيرة فى الفندق ، ليصنع قناعًا لوجه (ميخا) ، مسترشدًا بمجموعة صوره ، التى يحويها ملفه ..

ولقد كان أكثر ما يزعجه هو أن يسافر ، من (باريس) إلى (إسرائيل) ، وهو يرتدى على وجهه قناعين دفعة واحدة ..

قناع (دان ميخا) ، وفوقه قناع (جاك مورونى) ..

وعندما حصل على كل الأوراق السرية التى أمكنه العثور عليها ، وفى الثانية التى سبقت اقتحام رجال أمن

المفاعل لحجرة مكتب (مورونى) ، انتزع عن وجهه قناع هذا الأخير ، وألقاه بين المكتب ودولاب المعلومات ..

ثم واجه المدافع الآلية بصدر مفتوح ..

الشىء الوحيد الذى كان ينقصه ، عندما تقمَّص شخصية (ميخا) ، هو صوت هذا الأخير ، وأسلوب حديثه وانفعالاته ..

لهذا كان يتطلَّع إلى (ميخا) فى اهتمام بالغ ، عندما كان هذا الأخير يحادث (كاهان) هاتفيًّا ..

كان يلتقط صوته ولهجته وأسلوبه ، ويخزن كل هذا فى مخه ، وفى حنجرته الذهبية المذهلة ، التى تدرَّبت طويلا على التحدُّث بكل صوت ممكن ..

وعندما حانت اللحظة المناسبة ، أفرز كل هذا فى إتقان مدهش ..

مذهل ..

مثير ..

هذا لأنه كان يحتاج إلى أن يتأكَّد بنفسه ..

ومهما كان الثمن ..

وبكل همته وإصراره وسرعته ، وصل إلى قسم الإنتاج الرئيسى ، الذى يسجِّل كل ما ينتجه المفاعل ، وما إن دلف إليه ، حتى نهض العاملون فيه فى دهشة ، واتسعت عيونهم ، وهم يحدقون فيه ، قبل أن يهتف رئيسهم :

ـ أدون (ميخا) ؟! متى أبدلت ثيابك ؟! لقد كنت هنا منذ دقائق ، و....

قاطعه (أدهم) فى صرامة ، وبصوت (ميخا) الهادر العنيف :

ـ أين شرائط الكمبيوتر ، التى تحوى تفاصيل الإنتاج ، خلال العام الماضى ، وحتى يومنا هذا ؟![*]

تضاعفت دهشة الرجال ، وأشار رئيسهم إلى الكمبيوتر الضخم ، قائلاً :

ـ هذا الشريط الثالث ، يحوى كل ما تطلبه ، ولكن لماذا ....

(*) فى ذلك الوقت ، كانت أجهزة الكمبيوتر ضخمة ، تحتل أقسامًا كاملة ، وكان تسجيل المعلومات عليها يتم بوساطة أشرطة ممغنطة ، تشبه إلى حد كبير أشرطة تسجيل الفيديو الحالية ، ولم تكن هناك أسطوانات مرنة أو مدمجة كأيامنا هذه .

قبل أن يتمّ عبارته ، اندفع (أدهم) نحو الكمبيوتر الكبير ، وانتزع منه شريط الإنتاج ، فهتف به أحد العاملين فى ذعر :

ـ أدون (ميخا) .. هذا الشريط يحوى أمورًا سرية وخطيرة للغاية ، ولا يمكننا أن نكون مسئولين ، لو ....

قاطعه (أدهم) فى صرامة شديدة :

ـ اصمت يا هذا .. أنا مسئول الأمن هنا ، ولدينا جاسوس فى المبنى .. هل تفهم معنى هذا ؟! جاسوس فى المفاعل النووى ، أخطر مكان فى (إسرائيل) كلها ، وهذا يعنى ضرورة أن أحمى كل الأسرار بنفسى .

قال رئيس القسم فى اضطراب :

ـ لو أن هذا ضرورى ، فنحن سنحتاج إلى توقيعك ، و....

صاح به (أدهم) ، وهو يغادر المكان فى سرعة :

ـ فيما بعد .. فيما بعد .

كان قد حصل على كل ما جاء من أجله إلى المفاعل ، وبقيت أمامه أخطر خطوة ..

الخروج ..

ولأن أحدًا لم يكشف بعد انتحاله لشخصية (ميخا) ، كان أفضل ما يفعله ، بعد أن حصل على كل ما يبتغى ، أن يغادر المكان على الفور ..

وبأقصى سرعة ..

لذا ، فقد استرشد بالخطوط الأرضية الملوّنة مرة أخرى ، وهو فى طريقه إلى باب الخروج ..

ومن بعيد ، لاح له الباب الرئيسى ، وأطقم الحراسة تحرسه فى تحفز شرس ، ولكنه واصل طريقه نحوه بمنتهى الحزم ، وأشار إلى الواقفين عليه ، قائلاً فى صرامة غاضبة شرسة :

- أفسحوا الطريق .

تراجع الرجال فى سرعة ، أمام رئيسهم الأعلى ، وفتح أحدهم الباب الرئيسى وهو يسأل فى تردُّد :

- هل لى أن أسألك عن كلمة السر يا سيِّدى ؟!

صاح (أدهم) فى وجهه :

- كلمة السر ؟! أنا ؟!

ثم انعقد حاجباه فى غضب شرس ، وهو يواجه الرجل صائحًا :

- وأين كانت هذه الهمة ، عندما نجح الجاسوس فى الدخول أيها العبقرى ؟! أين ؟!

تراجع الرجل فى خوف ، ورفع يده بالتحية العسكرية ، تاركًا (أدهم) يغادر المكان بخطوات ثابتة قوية ، وهو يحمل شريط الكمبيوتر ، وكل الأوراق السرية للمفاعل ..

وفى الخارج ، كان هناك عدد من السيارات التابعة لطاقم الأمن ، ولبعض كبار العاملين فى المكان ، كما كانت الهليكوبتر الخاصة بالعاملين تقبع فى مهبطها ..

وبلا تردُّد ، اتجه (أدهم) نحو الهليكوبتر ، فأسرع نحوه قائدها ، هاتفًا :

- أوامرك يا أدون (ميخا) .

فى نفس اللحظة ، التى نطق فيها الطيَّار عبارته ، ظهرت هليكوبتر أخرى صغيرة ، تتجه نحو المفاعل مباشرة ، فتطلع إليها (أدهم) فى اهتمام ، ثم قال للطيار :

- إنها مهمة خاصة .. سأقود الهليكوبتر بنفسى هذه المرة .

هتف الطيَّار بدهشة عارمة :

ـ تقودها بنفسك ؟! ومنذ متى يمكنك قيادة الهليكوبتر يا أدون (ميخا) ؟!

راقب (أدهم) تلك الهليكوبتر الصغيرة ، وهى تهبط فى ساحة المبنى ، ورأى رجل الموساد (كاهان) يهبط منها ، ويتجه إليه فى سرعة ، فقال للطيَّار فى صرامة :

ـ منذ هذه اللحظة ..

اتسعت عينا الطيَّار فى دهشة أكثر ، فى نفس اللحظة التى وصل فيها (كاهان) إلى (أدهم) وهتف فى استنكار غاضب :

ـ ما الذى تفعله هنا باللَّه عليك ؟!

وكانت مواجهة عجيبة ..

عجيبة وخطيرة للغاية ..

وفى هذا التوقيت بالذات ..

★ ★ ★

اتسعت عينا (دان ميخا) الحقيقى عن آخرهما فى ذهول مذعور ، وهو يحدِّق فى ذلك القناع المطاطى الرقيق ، الذى قدَّمه له الجندى ، الذى قال فى توتر :

ـ ولقد أمرتنا أنت بالانصراف ، والانتشار فى المكان ، ثم طلبت منى البقاء مع المصاب ، و....

قاطعه (ميخا) فى حدة :

ـ أنا فعلت هذا ؟!

ارتبك الجندى ، قائلاً :

ـ نعم يا أدون (ميخا) .. أنت فعلت هذا .. الجميع شاهدوك تفعله .

ثم خفض بصره إلى زى (ميخا) فى ارتباك حائر ، وهو يضيف :

ـ وكنت عندئذ ترتدى زيًّا مختلفًا .

انتفض جسد (ميخا) فى عنف ، هاتفًا :

ـ أنا ؟!

كاد الجندى يبكى ، وهو يجيب :

- نعم .. أنت يا أدون (ميخا) .. أقسم على هذا .

حدّق (ميخا) فى ذلك القناع المطاطى مرة أخرى ، وراح عقله يتصوّر ما حدث ..

ولم يكن هذا بالأمر السهل ..

بل كان أمرًا يصعب ، إن لم يستحل تصوّره ..

ولكنه كان التفسير الوحيد ، لما بين يديه ..

ذلك الجاسوس بارع إلى حد مذهل ، فى تقمُّص الشخصيات ..

والدليل على هذا أنه قد نجح فى خداع كل نظم الفحص .. وبمنتهى الإحكام ..

وطبقًا لما حدث ، ولما يؤكّده هذا الجندى ، فهو ينتحل شخصيته الآن ..

وبنفس البراعة المذهلة ..

وهذا سيمنحه حرية أكبر فى التجوّل ..

وخداع الكل ..

و....

« يا للشيطان ! »

هتف (ميخا) بالكلمة فى ارتياع ، قبل أن يصرخ :

- إنه سيحاول الخروج من هنا ، متقمّصًا شخصيتى .

ثم اختطف جهاز الاتصال اللاسلكى ، المتصل بكل مكبرات الصوت فى المبنى ، وهو يتابع صارخًا :

- ولن يحاول أحد منعه ..

وضغط زر الجهاز ، وهو يواصل صراخه ، قائلاً :

- امنعوا أى مخلوق من مغادرة المبنى .. حتى أنا شخصيًّا .. الجاسوس ينتحل شخصيتى .. أكرّر .. لا تسمحوا لأى مخلوق بمغادرة المبنى .

وكان هذا يضع عقبة جديدة أمام (أدهم) ..

عقبة رهيبة ..

جدًّا ..

* * *

بدا (كاهان) شديد العصبية والتوتر ، وهو يهتف بـ (أدهم) الذى يحمل هيئة (ميخا) :

كيف تغادر المبنى ، فى ظروف كهذه ؟! وما هذا الذى تحمله ؟!

أجابه (أدهم) فى خشونة متعمَّدة :

ـ وما شأنك أنت بهذا ؟!

هتف (كاهان) :

ـ أنا رجل الموساد ، المسئول عن تأمين هذا المفاعل .

صاح (أدهم) فى وجهه ، بنفس غلظة وصرامة (ميخا) :

ـ وأنا مسئول الأمن الرئيسى فيه .

ثم التفت إلى قائد الهليكوبتر ، صارخًا :

ـ ماذا تنتظر أيها الغبى ؟! هيا .. أشعل محركات طائرتك وانتظرنى .

هتف الطيَّار فى توتر ، وهو يسرع لتنفيذ الأمر :

ـ أوامرك يا أدون (ميخا) .

نقل (كاهان) بصره بين (أدهم) والهليكوبتر ، فى استنكار شديد ، أطلّ بوضوح من صوته ، وهو يهتف :

ـ ما الذى يحدث بالضبط ؟! لماذا تحمل شرائط الكمبيوتر هذه خارج المبنى ؟! وإلى أين ستذهب بالهليكوبتر الآن ، مع وجود جاسوس فى مبناك ؟!

عقد (أدهم) حاجبى (ميخا) الكثين على نحو مخيف ، ومال نحو (كاهان) ، قائلاً فى غلظة شديدة الصرامة :

ـ اسمع يا أدون (كاهان) .. أنا مسئول الأمن الرئيسى هنا ، منذ إنشاء هذا المفاعل ، وقبل سنوات من إسناد مهمة تأمينه إليك ، وأنا أعلم ما الذى ينبغى فعله ، فى موقف عسير كهذا ؛ لأنه لدى خطة مدروسة مسبقة ، وضعها من يفوقونك منصبًا وسلطة بكثير ، وسأنفذ خطتهم ، دون مناقشة ، ودون أن التفت إلى عصبية رجل موساد مصاب بعقدة اضطهاد مثلك ، ولو أنك تعترض على هذا ، فعليك أن توقفنى رسميًّا ، وتمنعنى من المضى فى الخطة المسبقة ، وسيكون عليك عندئذ أن تقف أمام المسئولين الكبار ، عندما ينتهى كل هذا ؛ لتبرِّر تعنتك وسخافاتك ، وإعاقتك لنظم الأمن ، التى حدَّدوها مسبقًا ..

ثم تراجع ، مستطردًا بكل الصرامة :

ـ والآن .. هل ستوقفنى رسميًا ، أم تبتعد عن طريقى فورًا ؟!

انعقد حاجبا (كاهان) بدوره ، وهو يقول فى عصبية :

ـ ومن أدراني أن ما تقوله صحيح ؟!

قال (أدهم) فى سخرية :

ـ ومن أدراك أنه غير صحيح ؟!

ثم عاد يميل نحوه ، مستطردًا بنفس الصرامة :

ـ أم أنك ستتهمنى رسميًا بالتقصير فى أداء واجبى .. أو ربما بالخيانة .. أيهما تفضّل ؟!

تطلّع (كاهان) لحظة إلى عينيه المتحديتين ، قبل أن يغمغم فى عصبية أكثر :

ـ حسنًا .. امض فى طريقك .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وهو يشدّ قامته ، قائلاً :

ـ كنت واثقًا من هذا .

ثم اتجه نحو الهليكوبتر ، فصاح (كاهان) من خلفه :

ـ ولكنك أيضًا ستضطر لتفسير موقفك هذا للمسئولين .

اتسعت ابتسامة (أدهم) الساخرة وهو يوليه ظهره ، متجهًا نحو الهليكوبتر مباشرة ، وهو يقول :

ـ بالتأكيد .

كان الطيّار يجلس داخل الهليكوبتر ، على مقعد القيادة ، ولكنه هتف به فى صرامة :

ـ اخرج .

هزّ الطيّار رأسه فى قوة ، قائلاً :

ـ أدون (ميخا) .. المفترض أن ....

قاطعه (أدهم) بصرخة هادرة :

ـ اخرج ..

ارتجف الطيّار ، أمام تلك الصرامة الشديدة ، وحلّ حزام مقعده ، وغادر الهليكوبتر ، وهو يقول فى عصبية :

ـ لقد حذّرتك يا أدون (ميخا) .. إننى أخلى مسئوليتى عن كل ما يمكن أن يحدث ، و....

قبل أن يتمّ عبارته ، اندفع فريق من طاقم الأمن خارج المفاعل ، وأشار كبيرهم نحو الهليكوبتر ، صارخًا :

ـ أوقفوه .

هتف (كاهان) فى دهشة بالغة :

ـ من ؟!

صاح الرجل ، وهو يرفع مدفعه الآلى نحو الهليكوبتر فى حدة :

ـ ذلك الذى ينتحل شخصية أدون (ميخا) .. إنه الجاسوس .

اتسعت عينا (كاهان) فى ذهول ، وهو يستدير بكيانه كله نحو الهليكوبتر ، صارخًا :

ـ من ؟!

وفى نفس اللحظة ، التى انطلقت فيها صرخته ، ارتفع (أدهم) بهليكوبتر العاملين ، وانطلق بها مبتعدًا فى سرعة ..

وانطلق رجال أمن المفاعل يعدون نحو الهليكوبتر ، وهو يطلقون رصاصاتهم نحوها فى شراسة ، فى حين راح (كاهان) يصرخ ، بكل غضب وثورة الدنيا :

ـ مستحيل ! مستحيل !

ثم اندفع بدوره نحو الهليكوبتر ، التى أتت به ، وهو يصرخ فى طيَّارها :

ـ انطلق خلفه .. أسرع .

وثب داخل الهليكوبتر الصغيرة ، التى ارتفعت به على الفور ، ودارت حول نفسها ، لتنطلق خلف هليكوبتر (أدهم) ..

ولكن هليكوبتر العاملين كانت أكبر حجمًا وأكثر قوة ..

لذا ، فقد راحت تبتعد عن هليكوبتر (كاهان) ..

وتبتعد ..

وتبتعد ..

وبكل غضبه ، صرخ رجل المخابرات الإسرائيلى :

ـ لا .. مستحيل .. لن يفلت بفعلته هذه أبدًا ! مستحيل !

ثم التقط بوق جهاز الاتصال اللاسلكى ، مستطردًا :

ـ سأطلب مؤازرة القوات الجوية ، ووحدات الدفاع الجوى ، و....

قبل أن يتمّ عبارته ، صاح به الطيَّار فى انفعال :

ـ انظر .. إنها تسقط .

حدَّق (كاهان) فى الهليكوبتر البعيدة ، والتى بدت وكأنما اختلّ توازنها بغتة ، وراحت تترنَّح فى الهواء بعنف ، قبل أن تهوى فجأة ، وعلى نحو مخيف ..

وبكل دهشته وتوتره وانفعاله ، غمغم (كاهان) :

ـ عجبًا ! أمن الممكن أن ....

قبل أن يتمّ عبارته ، اختفت الهليكوبتر خلف تبة بعيدة ..

ثم دوى الانفجار ..

انفجار قوى ، بلغ مسامع (كاهان) والطيَّار ، على الرغم من بعد المسافة ، وهدير مرواح الهليكوبتر ، التى انطلقت بهما فى سرعة ، نحو مصدر الانفجار ، وقلب (كاهان) ينبض فى عنف ، وهو يغمغم :

ـ ترى هل .. هل ....

قبل أن يتمّ تساؤله ، عبرت الهليكوبتر تلك التبة ، وبدا المشهد أمامها واضحًا جليًّا ..

لقد سقطت الهليكوبتر الخاصة بالعاملين ، وانفجرت بالفعل ، وتناثرت شظاياها على مساحة واسعة كبيرة ..

ووسط الحطام والشظايا المشتعلة ، كانت ترقد جثة محترقة ممزّقة ..

جثة توحى بأن الجاسوس ، الذى فعل كل هذا ، قد لقى مصرعه من عنف الانفجار ، وانتهى أمره تمامًا ..

وإلى الأبد .

* * *

١٢ ـ الختـام ..

« إنها فضيحة على كل المستويات .. »

هتف رئيس الوزراء بالعبارة ، فى غضب شديد ، وهو يواجه (كاهان) و(ميخا) فى مكتبه ، ويتابع فى ثورة شديدة :

ـ (الكنيسيت)(*) سيوجه إلىّ استجوابًا مساء اليوم ، وأنا طلبت إحالتكما لتحقيق دقيق ، فلابد أن يدفع أحد ثمن ذلك الإهمال البشع ، والضعف الأمنى الهائل ، الذى لم يستطع مخلوق واحد هضمه .

غمغم (ميخا) :

ـ سيادة رئيس الوزراء .. لقد اجتاز ذلك الشخص كل إجراءات الأمن بنجاح .

صاح فيه رئيس الوزراء فى حدة :

ـ ولكنك تلقيت تحذيرًا صريحًا من السيِّدة (جيفيت) ، وكان ينبغى أن تحقق فى الأمر .

(*) الكنيسيت : المجلس التشريعى الإسرائيلى .

ثم التفت إلى (كاهان) ، مستطردًا فى غضب أكثر :

ـ وكذلك أنت يا (كاهان) .. كان ينبغى أن تولى الأمر عناية أكبر .

انتفض (كاهان) ، قائلاً :

ـ ولكنى قمت بواجبى خير قيام يا سيادة رئيس الوزراء .. لقد تحريت أمر الرجل ، وكشفت علاقته بالمخابرات السوفيتية ، و....

قاطعه رئيس الوزراء فى غضب :

ـ أى رجل ؟!

أجابه فى تردُّد عصبى :

ـ (جاك مورونى) .. لقد أكَّد خبراء البصمات أنه الجاسوس ، الذى احترقت جثته ، مع سقوط الهليكوبتر .. لقد راجعت تقرير البصمات بنفسى مرتين .

هتف (ميخا) :

ـ ألم أقل لك يا سيادة رئيس الوزراء ؟! لقد كان الجاسوس هو (مورونى) ، الذى أكدت لى تحريات الموساد

أنه لا غبار عليه ، والذى يعمل فى المفاعل ، وفى قسم المعلومات بالتحديد ، منذ سنوات ، وكان مثالاً للنشاط والكفاءة .

شدّ رئيس الوزراء الإسرائيلى قامته فى غضب ، وعقد كفيه خلف ظهره ، وهو يقول فى صرامة :

ـ أغبياء .. كلاكما اهتمّ بتقرير خبراء البصمات ، دون أن يبالى بقراءة تقرير الطب الشرعى نفسه .

انعقد حاجبا (ميخا) الكثين فى توتر ، فى حين تساءل (كاهان) فى حذر قلق :

ـ وماذا قال تقرير الطب الشرعى ؟!

اختطف رئيس الوزراء الإسرائيلى ورقة من على سطح مكتبه ، وألقاها فى وجه (كاهان) ، وهو يقول فى حدة :

ـ اقرأ بنفسك يا رجل الموساد العبقرى .. تقرير الطب الشرعى يؤكد أن الجثة ، التى تمّ العثور عليها نصف محترقة ، عند حطام الهليكوبتر ، تخص (جاك مورونى) بالفعل ، ولكنه لقى مصرعه منذ ما يقرب من ثلاثة أيام .

جحظت عينا (ميخا) فى ذهول ، فى حين صرخ (كاهان) :

ـ ماذا ؟! مستحيل !

صاح فيه رئيس الوزراء الإسرائيلى :

ـ هل تشكّك فى تقرير الطب الشرعى ؟!

زاغت عينا (كاهان) ، وهو يقول :

ـ ولكن هذا مستحيل ! لقد استقلّ الهليكوبتر أمامنا جميعًا ، و....

صرخ رئيس الوزراء مرة أخرى :

ـ أغبياء .

ثم لوّح بذراعه ، هاتفًا :

ـ لقد خدعكم الجاسوس جميعًا .. لقد لقى (مورونى) الأصلى مصرعه بالفعل ، منذ ثلاثة أيام ، كما أكّد تقرير الطب الشرعى ، ولكن ذلك الجاسوس انتحل شخصيته ، وخدعكم جميعًا ، ثم حطّم الهليكوبتر ، ووضع جثة (مورونى) عند الحطام ، ليجذب أنظاركم بعيدًا ، حتى يجد الوقت الكافى للاختفاء .. وربما لمغادرة (إسرائيل) كلها قبل أن تدركوا الحقيقة .

كاد (ميخا) يسقط فاقد الوعى ، أمام تلك الحقيقة المخيفة ، فى حين راح (كاهان) يهتف كالمجنون :

ـ مستحيل ! مستحيل ! لا يمكن لجاسوس واحد أن يفعل كل هذا .. مستحيل ! تقمص شخصية (مورونى) ، واصطناع بصماته ، وأسلوبه ، ودخول المفاعل باسمه ، ثم انتحال شخصية (دان ميخا) ، بأسلوب خدع الكل ، ثم الجثة .. من أين أتى بها ، ومن وضعها وسط حطام الهليكوبتر ؟! مستحيل !

ثم تراجع ، ولوَّح بسبَّابته ، صارخًا :

ـ هذا ليس عمل رجل واحد .. هذا عمل جهاز مخابرات كامل .. جهاز يعمل بتناسق مذهل ، وجرأة بلا حدود .

قال رئيس الوزراء الإسرائيلى فى غضب :

ـ قل هذا للمحققين ، قبل أن تتلقَّى قرار فصلك ، أنت ومسئول أمن المفاعل الفاشل .

هتف (ميخا) :

ـ سيِّدى ..

صاح رئيس الوزراء فى ثورة :

ـ اصمت ..

ثم عضَّ شفتيه فى مرارة ، مضيفًا :

ـ هذه العملية قضت علينا جميعًا .. إنها فضيحة كاملة .. صفعة قوية ، على وجه كل نظم الأمن فى (إسرائيل) ، وخسارة فادحة ، لن يمكننا تعويضها لعشر سنوات قادمة على الأقل .

قالها بلهجة أقرب إلى البكاء ..

أو هى البكاء ..

نفسه ..

* * *

نفث الرئيس (السادات) دخان غليونه الشهير ، وهو يطالع تقرير مدير المخابرات العامة فى استمتاع ، قبل أن يرفع عينيه إليه ، قائلاً :

ـ نحن لدينا شاب كهذا ؟! يا للروعة ! عمار يا (مصر) .

ابتسم مدير المخابرات ، قائلاً :

ـ (مصر) ولاَّدة يا سيادة الرئيس .

أعاد إليه الرئيس السادات الملف ، وهو يقول فى ارتياح :

- إذن فالإسرائيليون لم ينتجوا أبدًا تلك القنابل المزعومة !

قال مدير المخابرات فى حزم :

- مطلقًا يا سيادة الرئيس ، ومساء اليوم ستكون لدى سيادتكم كل الوثائق بالغة السرية ، التى حصلنا عليها من مفاعلهم النووى ، مع شرائط الكمبيوتر ، التى تؤكد أن مثل هذه القنابل المحدودة لم تدخل ضمن خطة إنتاجهم قط .

نفث الرئيس دخان غليونه ثانية ، وهو يتمتم :

- عظيم .. عظيم .

ثم ضحك ، قائلاً :

- أرادوا بث الخوف فى نفوسنا ، وانتهى الأمر بأن زرعنا الخوف فى حياتهم كلها .

ابتسم مدير المخابرات ، وهو يقول مؤيدًا :

- هذا صحيح .

هزَّ الرئيس رأسه فى استمتاع ، ونفث دخان غليونه الشهير مرة أخرى ، قبل أن يسأله فى اهتمام :

- وماذا عن الشاب نفسه ؟! ما موقفه الآن ؟!

أجابه مدير المخابرات فى حماس :

- لقد عبر الحدود الأردنية الإسرائيلية ، بعد ساعات ثلاث من العملية يا سيادة الرئيس ، وهو فى طريقه إلى (القاهرة) الآن ، وسيصل بعد أقل من الساعة .

غمغم الرئيس :

- عظيم .

ثم صمت لحظة ، قبل أن يقول فى حزم :

- سأمنح النقيب (أدهم صبرى) وسام الشجاعة ، بعد مؤتمر القمة العربى مباشرة .

قال مدير المخابرات فى حذر :

- ملازم أوّل يا سيادة الرئيس .

أجابه الرئيس فى حزم :

- بل نقيب أيها المدير .. نقيب .

فهم المدير ما يعنيه رئيس الجمهورية بقوله هذا ، فتهللت أساريره ، وقال فى حماسة :

ـ بالتأكيد يا سيادة الرئيس .. بالتأكيد .. سأتخذ كل الإجراءات الرسمية اللازمة .

ابتسم الرئيس ، قائلاً :

ـ عظيم .

ثم عاد ينفث دخان غليونه فى هدوء واستمتاع ، و....

وظفر ..

* * *

لم يكد (أدهم) يغادر الطائرة الخاصة ، التى حملته من (عمان) إلى (القاهرة) ، حتى وجد أمامه المقدَّم (عمرو) ، الذى استقبله بابتسامة واسعة مرحِّبة كبيرة ، وهو يقول :

ـ حمدًا للّه على سلامتك يا بطل .

تصافحا فى حرارة ، وضحك المقدَّم (عمرو) ، قائلاً :

ـ الكل يتحدَّث عما فعلته فى (إسرائيل) .. لقد أثرت جنونهم ببراعتك المذهلة .

غمغم (أدهم) :

ـ لقد بذلت قصارى جهدى .

ضحك المقدَّم (عمرو) ، وربَّت عليه فى حرارة ، هاتفًا :

ـ أنا واثق من هذا .

ثم قاده إلى السيارة ، التى تنتظر داخل ساحة الطيران ، وهو يقول فى حماسة :

ـ والآن هيا إلى الجهاز .. الكل يتلهَّف لاستقبالك هناك يا بطل ؛ لتقصّ علينا القصة كاملة .

استرخى (أدهم) فى مقعده فى ارتياح ، وأدار عينيه فيما حوله ، ليملأهما بصورة (مصر) ..

(مصر) التى لم يتصوَّر أن يعود إليها حيًّا ..

وفى ارتياح غامر ، ربَّت على الحقيبة الجلدية السوداء ، التى لم يتركها من يده لحظة واحدة ، منذ وصل إلى (الأردن) ..

الحقيبة التى تحوى كل أسرار مفاعل (ديمونة) الإسرائيلى ..

كلها .. بلا استثناء .

وعندما انطلقت السيارة ، فى طريقها إلى جهاز المخابرات العامة ، أسبل جفنيه فى هدوء واستمتاع ، مع شعوره الكامل بالأمن والأمان هنا ، فى وطنه ..

فى (مصر) ..

* * *

خفق قلب (قدرى) فى قوة ، وهو يهتف بحماس شديد ، مع آخر أوراق الملف :

ـ عمار يا (مصر) .

ابتسم النائب الأوَّل لمدير المخابرات ، وهو يغلق الملف ، قائلاً :

ـ صدقت يا رجل .

نهض (قدرى) ، وهو يقول فى حماسة :

ـ هل تصدِّق أننى ، وبعد أن سمعت هذه المغامرة ، وأدركت أهمية الدور ، الذى قمت به فيها ، أشعر بحماس شديد للعودة إلى العمل .

تنهَّد النائب ، والتقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يبتسم ، قائلاً :

ـ كنا واثقين من هذا .

قال (قدرى) فى دهشة تمتزج بشىء من الفرح :

ـ حقًّا ؟!

نهض النائب من خلف مكتبه ، قائلاً :

ـ هذا أمر طبيعى يا سيِّد (قدرى) .. ربما لم تكن قط عسكريًّا ، أو تعمل فى صفوف الجيش ، وربما تعتبر نفسك دومًا مدنيًّا ، وسط جهاز المخابرات العامة ، ولكن هذا لا يمنع كونك رجل مخابرات .

هتف (قدرى) ، فى حماسة وانبهار :

ـ أنا ؟! أنا رجل مخابرات ؟!

ربَّت النائب على كتفه ، قائلاً :

ـ نعم يا (قدرى) .. أنت ، وأنا ، و(أدهم) ، و(منى) ، كل من يعمل هنا ، هو رجل مخابرات ، يبذل كل جهده ، من أجل الوطن .

وشرد بصره ، وهو يضيف :

ـ هذا لأننا نعمل جميعًا تحت علم واحد .

ثم أزاح أستار نافذته ، وأشار إلى العلم ، الذى يرفرف على قمة المبنى الرئيسى ، مضيفًا فى فخر :

ـ تحت علم (مصر) ..

وكان على حق ..

تمامًا .

* * *

[تمت بحمد اللّه]

باسل
Www.dvd4arab.com